مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المروءة وأثرها في الدعوة إلى الله عز وجل

الدكتور/ السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم
أستاذ مشارك بقسم الدعوة الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، وأستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر

ملخص البحث. تأتي "المروءة" في مقدمة صرح الأخلاق، فهي قيمة إنسانية وفضيلة إسلامية تُعبِّر عن نُبْل صاحبها وطيب معدنه، الأمر الذي يجعل الحاجة إليها ماسة، لا سيما في ميدان الدعوة إلى الله عز وجل، ويهدف البحث إلى التأكيد على أهمية "المروءة"، وبيان أثر مروءة الداعية وثمرتها في عملية الدعوة، كما يهدف إلى استخلاص منهجية دعوية للتعامل مع ذوي المروءات، بما يحقق الاستفادة منهم وحسن توظيفهم. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي بمكوناته، فهو يجمع النصوص ذات الصلة بالمروءة، ويلقي الضوء عليها بأسلوب علمي يقوم على التفسير والتحليل؛ لاستخلاص آثار مروءة الداعي، واستنباط قواعد دعوية يستنير بها الدعاة في التعامل مع ذوي المروءات. وقد خلص الباحث إلى أن "المروءة" ضرورية للداعية، فبها يستقيم ظاهره وباطنه، وهي سبيله إلى كسب القلوب، ونيل المصداقية والقبول لدى الناس، كما خلص إلى أن منهج الدعوة في التعامل مع ذوي المروءات يتمثل في: إكرامهم وتوقيرهم ورفع شأنهم، والوفاء لهم وحفظ صنيعهم، والاستفادة من طيب معدنهم وكمال عقولهم، وإقالة عثراتهم. ويوصي الباحث بإبراز نماذج المروءة في واقعنا المعاصر إعلاميًّا ومجتمعيًّا، وتقديم الدعم والتكريم اللائق بهم، حتى يستقر في وجدان الناس أن هؤلاء هم القدوات والصفوة الذين ينبغي الاحتفاء بهم، كما يوصي باستكتاب الباحثين عامة والدعاة على وجه الخصوص لتناول ظاهرة تراجع المروءة في واقعنا الحالي "الأسباب والعلاج"، وذلك باستخدام أساليب الرصد والتحليل العلمي الذي يقود إلى نتائج سليمة.

الكلمات المفتاحية: المروءة، القيم، مروءة الداعية، مروءة المدعو، خوارم المروءة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن رقيَّ الأمم والشعوب وتحضرهم ملازم لارتقائهم في سُلَّم الأخلاق الفاضلة، كما أن انهيار الأمم والشعوب ملازم لانهيار الأخلاق وتفكك منظومة القيم، ولا سبيل للأمم التي أصابها الضعف وأضحت مهددة بالانهيار إلا إعادة بناء منظومة القيم، وهنا يأتي دور الدعاة والمصلحين وكافة مؤسسات التربية والتوجيه والتأثير، فهم شركاء متضامنون في عملية إعادة البناء القيمي والأخلاقي للأمة.

وتأتي "المروءة" في مقدمة صرح الأخلاق، فهي قيمة إنسانية وفضيلة إسلامية تُعبِّر عن نُبْل صاحبها وطيب معدنه، الأمر الذي يجعل الحاجة إليها ملحة، لا سيما في ميدان الدعوة إلى اللهﷻ، فهي إكسير التواصل الفعال، إن تحقق بها الداعية انفتحت له مغاليق القلوب والعقول، وجعلت تأثيره في الناس بالغًا مداه، وإن تحلى بها المدعو جعلته أطيبَ الناس معدنًا، وأكملَهم عقلاً، وأقربهم إلى الاستجابة، ومن هنا تأتي أهمية البحث في موضوع **"المروءة وأثرها في الدعوة"**، فقد كثر الحديث في علم الدعوة، وامتلأت المكتبة الإسلامية بالكتب والأبحاث والرسائل العلمية التي تتناول كليات هذا العلم ومسائله الكبرى، وآن الأوان للبحث المتعمق في تفاصيل هذا العلم ودقائقه؛ وقد اخترتُ أن أعالج موضوع "المروءة" معالجة دعوية لأسباب عدة، منها:

١- أن شريحة ذوي المروءات – من الدعاة والمدعوين – هي شريحة ذات قيمة كبيرة في المجتمع، لذا استحقت أن يُفرَد لها بحث، للحديث عنها في مجال الدعوة إلى اللهﷻ.

٢- اختلاط المسلمين بغيرهم، فقد اختلط المسلمون بأقوام لا يقيمون للأخلاق وزنًا، ولا يرفعون للمروءة رأسًا، وهو ما كان له سيء الأثر في مجتمعاتنا، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث.

٣- كون المروءة خصلة نادرة في هذا العصر الذي سيطرت عليه المادية، فاستعنتُ بالله وتوكلتُ عليه لإبراز هذه القيمة، لعلي أبعث جذوتها في النفوس، فتستعيد بريقها وصفاءها بين الناس.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

٤- ندرة الكتابة في موضوع "المروءة" من الناحية الدعوية، فقد بذلت جهدي في تصفح ما وقع تحت يدي من كتب الدعوة، فلم أجد مَن أفرد لهذا الموضوع بحثًا مستقلا، فجاءت هذه الدراسة لتكون بمثابة بحث تأسيسي لهذا الموضوع، لعله يفتح المجال لمزيد من الكتابة في مثل هذه الموضوعات.

تساؤلات الدراسة: يحاول الباحث – من خلال هذه الدراسة – الإجابة عن عدة تساؤلات، منها:

١- ما مفهوم المروءة ودلالاتها؟ وما حدُّها وضابطها؟

٢- هل المروءة فطرية أم مكتسبة؟ وإن كانت تكتسب، فما وسائل اكتسابها؟

٣- ما حاجة الداعية إلى المروءة؟ وما آثارها وثمراتها على الدعوة؟

٤- ما معالم منهج الدعوة في التعامل مع ذوي المروءات من المدعوين؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. التأكيد على أهمية المروءة في حياة الناس عامة، وفي ميدان الدعوة على وجه الخصوص.

٢. بيان أثر مروءة الداعية وثمرتها في عملية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

٣. استخلاص منهجية دعوية للتعامل مع ذوي المروءات، بما يحقق الاستفادة منهم وحسن توظيفهم.

الدراسات السابقة: لم أعثر على دراسات سابقة في موضوع "المروءة وأثرها في الدعوة"، رغم كثرة المؤلفات في موضوع "المروءة"، فقد كَتب القدامى والمتأخرون في "المروءة" في أبواب الأخلاق والتزكية وأعمال القلوب، وفي أبواب الشهادات والحكم على الرجال، فهي شرط من شروط العدالة عند المحدِّثين والأصوليين وغيرهم، ومن أبرز الدراسات المعاصرة: دراسة خديجة قاسمي، والموسومة بـ (**المروءة في الفقه الإسلامي وعلاقتها بالعرف**)[١]، ودراسة د. زين العابدين رضوان، والموسومة بـ (**خوارم المروءة عند المحدِّثين بين النظرية والتطبيق**)[٢]، ودراسة غادة الزامل، والموسومة بـ (**قيمة المروءة في الإسلام – دراسة تأصيلية**)[٣]، فالأولى دراسة فقهية، والثانية دراسة حديثية، والثالثة دراسة ثقافية، وجميعها لا تمت إلى المعالجة الدعوية بصلة،

(١) دراسة منشورة في مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أحمد دراية، الجزائر، العدد (٤)، المجلد (١٩) سنة ٢٠٢٠م.

(٢) دراسة منشورة في المجلة العلمية لكلية البنات الأزهرية بالأقصر، مصر، العدد (٣) سنة ٢٠١٩م.

(٣) رسالة علمية (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، سنة ١٤٣١ – ١٤٣٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ولذلك سأكتفي بمبحث تمهيدي، أتناول فيه تعريف المروءة، وأهميتها، ووسائل اكتسابها، ثم أنتقل إلى موضوع البحث وهو مروءة الداعي وأثرها، ومروءة المدعو ومنهجية التعامل معها.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج التحليلي بمكوناته ومنها: (التفسير، والاستنباط) (٤)، فهو يجمع الآيات والأحاديث ومواقف السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وأقوال السلف ذات الصلة بالمروءة، ويلقي الضوء عليها بأسلوب علمي يقوم على التفسير والتحليل؛ لاستخلاص آثار مروءة الداعي وثمراتها، واستنباط قواعد دعوية يستنير بها الدعاة في التعامل مع ذوي المروءات، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

خطة البحث: اشتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

- **المقدمة:** وقد تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ... إلخ.
- **المبحث الأول: مدخل إلى المروءة:** وفيه ثلاثة مطالب:

  المطلب الأول: مفهوم المروءة وحدُّها.

  المطلب الثاني: قيمة المروءة وأهميتها.

  المطلب الثالث: وسائل اكتساب المروءة.
- **المبحث الثاني: مروءة الداعية وأثرها في الدعوة:** وفيه ثلاثة مطالب:

  المطلب الأول: درجات المروءة ومراتبها لدى الداعية.

  المطلب الثاني: آداب المروءة ومظاهرها لدى الداعية.

  المطلب الثالث: آثار مروءة الداعية وثمراتها.
- **المبحث الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في التعامل مع ذوي المروءات:** وفيه أربعة مطالب:

  المطلب الأول: إكرامهم وتوقيرهم ورفع شأنهم.

---

(٤) راجع بالتفصيل: أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، ص ٩٦ وما بعدها، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المطلب الثاني: الوفاء لهم وحفظ صنيعهم.

المطلب الثالث: الاستفادة من طيب معدنهم وكمال عقولهم.

المطلب الرابع: إقالة عثراتهم والعفو عن زلاتهم.

- **الخاتمة**: وتشتمل على أبرز النتائج وأهم التوصيات.
- **الفهرس**: ويشتمل على المصادر والمراجع.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المبحث الأول: مدخل إلى المروءة

قبل الشروع في الحديث عن "المروءة" في مجال الدعوة إلى اللهﷻ، ينبغي إلقاء الضوء – بإيجاز – على مفهوم المروءة وحدِّها، وقيمتها، ووسائل اكتسابها، حتى يقف القارئ الكريم على حقيقتها، ويدرك أهميتها ووجه الحاجة إليها في ميدان الدعوة، وسوف ألقي الضوء على ما سبق من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم المروءة وحدُّها

المروءة في اللغة: مصدر من: مرُؤَ يمرُؤُ مروءةً، والمروءة: الإنسانية، يقال: مَرُؤَ فلان مروءة: صار ذا مروءة وإنسانية، فهو مريء، أي: بيّن المروءة، وهو الرجل المقبول في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ، وطعامٌ مريءٌ هنيءٌ: حميد المغبّة سائغٌ مُشبِع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء: ٤]، وكَلأٌ مريءٌ: غير وخيم، ومرُؤت الأرض: حسُن هواؤها. والمروءة: كمال الرجولية، يقال: مرُؤَ الرجل: أي اكتملت رجولته، وتمرَّأ فلان: صار ذا مروءة، وتمرَّأَ فلان: تكلَّف المروءة (٥).

ومعنى "المروءة" في معاجم اللغة العربية يدل على أنها جماع الإنسانية ومنتهاها، فهي كلمة كانت تستعمل لإبراز جوهر الإنسانية عند العرب، وللإمام الماوردي –رحمه الله– كلام نفيس حول معاني المروءة في كلام العرب، يقول فيه: «وفي اشتقاق اسم المروءة من كلام العرب ما يدل على فضيلتها عندهم، وعِظَم خطرها في نفوسهم، ففيه وجهان: **أحدهما**: أنها مشتقة من المروءة والإنسان، فكأنها مأخوذة من الإنسانية. **والوجه الثاني**: أنها مشتقة من المريء، وهو ما استمرأه الإنسان من الطعام؛ لما فيه من صلاح الجسد، فأُخذت منه المروءة؛ لما فيها من صلاح النفس» (٦).

---

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤١٦٥/٥، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله عليّ الكبير وآخرون، والصحاح للجوهري ٧٢/١، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، ص٨٦٠، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٦) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملِك وسياسة الملك: أبو الحسن الماوردي، ص ٣٠، دار النهضة العربية، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. تحقيق: د. محيي هلال السرحان.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ومما سبق يتضح أن "المروءة" في اللغة تعني: الإنسانية وكمال الرجولية، وليس معنى هذا أن المروءة تنحصر في الرجال دون النساء، فالرجولة في الإسلام ليست للجنس، بل هي صفات وأخلاق وسلوك تُطلَق على من تحلى بها من الذكور والإناث على السواء، وبالتالي فالرجل والمرأة كلاهما مخاطب بالمروءة.

المروءة في الاصطلاح: "المروءة" من المفاهيم التي تتسم بالعمومية، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة وضع حدٍّ واضح لها، ولذلك حَارَ ابنُ عمرﷺ لما قال له أصحابه: صِف لنا المروءة، فقال: (ما لذلك عندي حدٌّ أعرفُه) (٧)، وقد تناولها العلماء من جوانب مختلفة، فانعكس ذلك على تعريفهم لها، فقد عرفها البعض باعتبار حقيقتها المجردة، فجاء تعريفُهم عاما يركز على ماهية المروءة، وعرفها البعض الآخر بحسب مظاهرها، فجاء تعريفهم معبرًا عن آثارها التي تظهر في السلوك، ولذا فقد تعددت تعريفاتها، وتنوعت مدلولاتها بحسب مجالات استخدامها على النحو التالي:

أولا: تعريف المروءة بالنظر إلى حقيقتها: وهي تعريفات عديدة، أذكر أهمها على النحو التالي:

– عرفها صالح اللخميّ –رحمه الله– بقوله: (المروءة اجتناب الرجل ما يشينُه، واجتنائه ما يزينُه)(٨)، أي: تركه ما يشينه، من الشَّين، وهو العيب والقبح.

– وعرفها الماوردي –رحمه الله– بقوله: (مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذمٌّ باستحقاق) (٩).

– وعرفها الجرجانيّ –رحمه الله– بقوله: (المروءة هي قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعًا وعقلاً وعرفًا) (١٠).

---

(٧) الموشَّى أو الظرف والظرفاء: محمد أبو الطيب، ص ٣٨، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثانية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م. تحقيق: كمال مصطفى.

(٨) الأدب والمروءة: صالح اللخمي، ص ١٢، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. تحقيق: وتعليق: قسم التحقيق بالدار.

(٩) أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، ص٣٢٥، دار اقرأ، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. شرح وتعليق: محمد كريم راجح.

(١٠) التعريفات للجرجاني، ص١٧٦، دار الفضيلة، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

– وعرفها ابن القيم –رحمه الله– بقوله: (حقيقتها: اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم)(١١)، وهو تعريف يتفق والمعنى اللغوي للمروءة.

– وعرفها المقَّريّ –رحمه الله– بقوله: (المروءة: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات)(١٢)، وهو التعريف المختار؛ كونه من أوضح التعاريف وأجمعها، وهو الأقرب لموضوع البحث.

ثانيًا: تعريف المروءة بالنظر إلى مظاهرها: وهي تعريفات كثيرة تضمنت حصرًا للصفات التي تقتضيها المروءة، وتظهر في سلوك الإنسان، فقد سئل عمرو بن العاصﷺ عن المروءة فقال: (تقوى الله تعالى، وصلة الرحم)(١٣)، وسئل عنها المغيرة بن شعبةﷺ فقال: (هي العفة عما حرم الله تعالى، والحرفة فيما أحل الله تعالى)(١٤)، وسئل عنها معاوية بن أبي سفيانﷺ فقال: (احتمال الجريرة، وإصلاح أمر العشيرة، والحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة)(١٥)، وسئل الفضيل بن عياض عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: (الكامل مَن برَّ والديه، ووصل رحمَه، وأكرم إخوانه، وحسَّن خلقه، وأحرز دينه [أي: صانه]، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسَّن لسانه)(١٦)، وكتب التراث مليئة بما لا حصر له من تعريفات المروءة، ومجملها يدور حول التدرج في سُلَّم الكمال، والارتقاء لجميل الخصال، والاحتراز عن كل ما يعيب الإنسان من الأقوال والأفعال.

ثالثًا: دلالات المروءة بالنظر إلى السياقات التي جاءت فيها: وهي دلالات متعددة، ومردُّ ذلك إلى تنوع استعمالها في علوم عدة، الأمر الذي يعظم شأن المروءة، «فهي خلق رفيع القدر يستعمله الأدباء في المدح، وعلماء الأخلاق والنفس في مكارم الأخلاق وسموّ النفس، وعلماء الشرع من فقهاء ومحدثين في صفات الراوي والشاهد ليوثَق بكلامهما، والقاضي ليطمئن إلى عدله، فتجدها في كتب أصول الفقه في صفات الراوي، وكذلك في كتب علوم الحديث، بينما تجدها في كتب الفقه في كل

---

(١١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٥١/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. تحقيق: محمد حامد الفقي.
(١٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ٥٦٩/٢، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
(١٣) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٩.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.
(١٥) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد ٤٣/١، دار الفكر العرب، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
(١٦) بهجة المجالس وأُنس المجالس: ابن عبد البر القرطبي ٤٤٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: محمد موسى الخولي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

باب يتعرض للعدالة بالشرح والتفصيل، كالقضاء والشهادة والوقف والوصية، وللمروءة في كل علم شروط ومواصفات)) (١٧)، ولا يخفى أن اشتراط اتصاف الشاهد والراوي والقاضي ونحوهم بالمروءة والعدالة لما يؤكد سلامة الحديث النبوي، ويعزز الثقة بأحكام الشريعة الإسلامية عمومًا وأحكام القضاء والشهادة على وجه الخصوص، وإذا كانت المروءة ذات قيمة كبيرة في كتب اللغة والأدب والأخلاق، وهي معتبرة عند الفقهاء والمحدثين، فالحاجة إليها ماسة في ميدان الدعوة، والداعية أحوج ما يكون إلى التحقق بها حتى يتحقق له نقاء السريرة، وحسن السمت والسيرة.

ومما سبق من تعريفات للمروءة – بالنظر إلى حقيقتها ومظاهرها وسياقاتها – يمكن استنتاج الآتي:

١- الاختلاف بين تعريفات المروءة هو اختلاف لفظي، بينما هي في الحقيقة متفقة في مفهومها العام وفي دلالاتها، وهو ما بينه أبو حاتم البستي –رحمه الله– بعد أن أورد عددًا من تعريفات المروءة، وعقَّب قائلاً: ((اختلفَت ألفاظهم في كيفية المروءة، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض. والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله ورسوله من الخصال، وهاتان الخصلتان يأتيان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم)) (١٨)، يَقصد أن كافة التعريفات المذكورة وإن اختلفت ألفاظها فهي تندرج تحت هاتين الخصلتين، ولقد وقف المفكر والأديب أحمد أمين حائرًا أمام سيل من تعريفات المروءة، فقال: ((ولو عددتَ كل ما قيل في تعريفها لضاق المجال، فأي الأقوال نختار؟ ولكن هذا الإشكال يمكن حله بأن نأخذ كل هذه التعاريف وغيرها، ونمزجها وننخلها ونجعل منها خلاصة، وسنصل في النهاية إلى تعريف أنها "كمال الإنسانية")) (١٩).

وما من شك في أن تعدد تعاريف المروءة وكثرتها، لهو دلالة على عظم شأنها، وسمو منزلتها، وعلو قدرها، لا سيما ((وأن الاختلاف في تعريف المروءة ليس من باب اختلاف التضاد والتباين، بل هو من باب اختلاف التنوع وتعدد الأجناس تحت

---

(١٧) عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي: شويش هزاع عليّ المحاميد، ص ٣٣٧، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وللمزيد راجع: رسائل الإصلاح: محمد الخضر حسين، ص ٨ وما بعدها، دار النوادر، سوريا، ط الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. عناية: عليّ الرضا الحسيني.

(١٨) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي، ص ٣٢٠، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤٣٣هـ. عناية: طارق عبد الواحد علي.

(١٩) فيض الخاطر: أحمد أمين ٢/٢٣٥ بتصرف يسير، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثالثة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الأصل الواحد، فكل هذه التعاريف مندرجة تحت لواء المروءة»(٢٠)، وكأن المروءة داخلة في كل شيء، فهي حالة طيبة يُفطَر عليها المرء أو يكتسبها بالممارسة، فتجعله يتصرف على نحو لائق ونبيل في كل أموره.

٢- ومما سبق من تعريفات يمكن القول بأن **حدّ المروءة** هو: (غلبة العقل للشهوة) (٢١)، **وضابطها**: أن لا يعمل الإنسان عملاً في السر يستحيي منه في العلانية (٢٢)، وهو ما بيَّنه الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– بقوله: (الضابط في المروءة: أن لا يفعل ما ينتقده الناس فيه، لا من قولٍ ولا من فعل)(٢٣)، **ومرجع المروءة**: هو الشرع والعرف، فهي كما قال النووي – رحمه الله–: (تخلق المرء بخُلُق أمثاله في زمانه ومكانه)(٢٤)، وشرح ذلك الخطيب الشربيني فقال: (أحسن ما قيل في تفسير المروءة أنها تخلق للمرء بخلق أمثاله من أبناء عصره ممن يراعي مناهج الشرع وآدابه في زمانه ومكانه؛ لأن الأمور العرفية قلما تنضبط، بل تختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والبلدان) (٢٥)، فما يكون مخالفًا للمروءة في زمن أو مجتمع، قد لا يكون مخالفًا لها في زمن أو مجتمع آخر، وبالتالي فأعراف الناس وعاداتهم معتبرة ما لم تتعارض مع الشريعة أو يستهجنها العقل السليم، وهذا في "المروءة العُرفية"، فهي متغيرة، بخلاف "المروءة الشرعية"(٢٦)، فحدُّها: التزام ما نص عليه الشرع من أداء الواجبات واجتناب المنهيات، سواء كانت كبائر أو صغائر، وهذه ثابتة لا تتغير.

---

(٢٠) موسوعة الأخلاق: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية ٦٥/١٢، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف. تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/١١/٢٤م، رابط الموقع: www.dorar.net.

(٢١) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية ٣٢٥/٢.

(٢٢) راجع: أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، ص ٣٣٤.

(٢٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ١٠٨/١١، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢٤) المنهاج للنووي، ص ٥٦٨، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. عناية: محمد محمد طاهر شعبان.

(٢٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني ٤٣١/٤، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٢٦) راجع: إرشاد الفحول للشوكاني ١٤٤/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: تحقيق: الشيخ أحمد عزو.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المطلب الثاني: قيمة المروءة وأهميتها

من المعلوم أن المدلول اللغوي لأي كلمة عربية يتسم بالعمومية، فهو يتتبع استعمالات الكلمة في مختلف سياقاتها، ثم يأتي التعريف الاصطلاحي ليجعل الكلمة أكثر تحديدًا، غير أني لاحظت عكس ذلك في كلمة "المروءة"، فقد جاءت محاولات تعريفها اصطلاحيًّا قاصرة وغير جامعة، وهو ما عبر عنه د. محمد خير رمضان بقوله: «ونظرًا لعظمة خلق المروءة وجلالة معناه، فقد حار أهل العلم والحكمة في تعريفه! وكلما اقتربوا من وضع حدٍّ له عرفوا أنهم لم يعطوه حقه، حتى قالوا: إنه كل خصلة مفيدة وخلق قويم»[٢٧]، وكأن الأفضل لهذا الخلق أن يبقى على عموميته، فهو –كما جاء في مدلوله اللغوي – يعني: كمال الرجولية ومنتهى الإنسانية، وبالتالي فهو خلق كريم يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات.

المروءة قيمة إنسانية وفضيلة إسلامية: فهي «اللفظة الأولى للإنسانية في لغتنا، وهي تحمل كل معاني الإنسانية منذ عصر الجاهلية إلى اليوم..، ونحن اليوم مع ضرورة احتفاظنا بمروءتنا أحوج ما نكون – والعالم أجمع – إلى الإنسانية في عصرٍ تنكَّر فيه جميع قوى الشر والدمار للإنسانية»[٢٨]، وبالتالي، فالمروءة ذات قيمة كبيرة ومنزلة عظيمة، وحيثما وجدت المروءة فثم الرجولة الكاملة حاضرة، ولذا فقد أجمع عليها البشر عجمًا وعربًا قبل الإسلام وبعده. أما عند العجم، فقد سئل بعض الدهاقين [٢٩]: ما المروءة فيكم؟ قال: (اجتناب الرِّيَب، فإنه لا ينبُلُ مُريب، وإصلاح الرجل مالَه فإنه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله فإنه لا ينبُل من احتاج إلى أهله، ولا من احتاج أهلُه إلى غيره) [٣٠]، وقال كسرى أنوشِروان لابنه: من الكامل المروءة؟ قال: (من حصَّن دينَه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه) [٣١]، ومن أجمل ما قيل في المروءة وأجمعه قول بهرام بن بهرام: «المروءة اسم جامع

---

(٢٧) راجع: مقدمة تحقيق كتاب "مرآة المروءات" لأبي منصور الثعالبي، ص ٦، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. تحقيق: د. محمد خير رمضان يوسف.

(٢٨) راجع: مقدمة تحقيق كتاب "خزانة الفقه وعيون المسائل" لأبي الليث السمرقندي ٤١/١، ٤٢، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، طبعة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م. تحقيق: د. صلاح الدين الناهي.

(٢٩) الدهاقين: واحده دهقان (بكسر الدال وضمها)، وهو من كانت له رياسة قريته أو جماعته عند العجم. راجع: لسان العرب ١٤٤٣/٢.

(٣٠) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٣٨.

(٣١) تسهيل النظر وتعجيل الظفر: أبو الحسن الماوردي، ص٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

للمحاسن كلها)) (٣٢). وقد كانت المروءة معروفة عند العرب قديمًا، وكانوا شديدي الاحتفاء بها، حتى إنهم كانوا يقيسون بها الرجولة، ويوردونها في مقامات المدح والفخر (٣٣)، كما قال زياد الأعجم يمدح عبدَ الله بن الحشرَج:

إن السماحة والمروءة والندى في قبةٍ ضُربت على ابن الحشرَجِ (٣٤)

وقال أحد شعراء الحماسة مفتخرًا بمروءة قومه:

عادوا مروءتنا فضُلِّل سعيُهم ولكل بيت مروءةٍ أعداءُ (٣٥)

وأما في الإسلام، فقد حظيت المروءة بمكانة عظيمة، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يلحظ الحفاوة البالغة بخصال المروءة، حتى قال العلماء: ((إن كل آية من كتاب الله تأمر بفضيلة من الفضائل، أو تنهى عن رذيلة من الرذائل فهي تدل على المروءة، وترشد إلى طريقها)) (٣٦)، فكما أنها قيمة إنسانية، فهي فضيلة إسلامية، وسوف أدلل على علوّ مكانتها وسموّ منزلتها في الإسلام بذكر بعض فضائلها على النحو التالي:

أولا: المروءة من تمام مكارم الأخلاق: فقد جاء الإسلام ليرفع صرح الأخلاق ويتمم مكارمها، وكانت المروءة هي واجهة هذا الصرح العظيم، فهي تمام الأدب ومنبع الخلق الكريم، ويدل لذلك قول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهي آية الأخلاق في القرآن الكريم، قال عنها جعفر الصادق: ((أمر الله نبيَّه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية))(٣٧)، ولكن ما علاقة هذه الآية الكريمة بالمروءة؟ قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء، فأين المروءة فيه؟ فقال: ((في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ

(٣٢) المروءة لأبي بكر بن خلف المرزُبان، ص ١٣٤، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: د. محمد خير رمضان.
(٣٣) راجع: رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص ٨.
(٣٤) شعر زياد الأعجم: د. يوسف حسين بكار، ص ٩، دار المسيرة، ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
(٣٥) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للمرزوقي، ص ١٢٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
(٣٦) موسوعة الأخلاق: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، ص ٦٧.
(٣٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٤٢٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

﴿ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ففيه المروءة، وحسن الأدب، ومكارم الأخلاق..»[٣٨]، وقد جعل الفاروق عمرﷺ المروءة هي الخلق ذاته، حين قال: (كرم المؤمن تقواه، ودينه حسَبُه، ومروءته خُلُقُه)[٣٩]، أي: أن المروءة التي يحمد عليها الناس، إنما هي أساس الأخلاق، فهي تُكسِب صاحبَها مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، قال ابن عبد البر: (لا تكاد تجد حَسَنَ الخلق إلا ذا مروءة وصبر) [٤٠]، فالمروءة باعثة على حسن الخلق، ولذلك قال الحسن: (إنه لا دين لمن لا مروءة له) [٤١]، وإذا ذهب الدين ذهبت الأخلاق وذهب معها كل شيء، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا، ويبعث على شرف الممات والمحيا إلا وهو داخل تحت المروءة[٤٢]، فهي قيمة جامعة تنبثق منها أمهات الأخلاق وفروعها.

ثانيًا: المروءة من شواهد الفضل ودلائل الكرم: فاستحقت بذلك أن تكون زينة الإنسان وعنوان رجولته ودليل إنسانيته، وأنت تجد ذلك في آية المروءة، ففي "الدر المنثور" وغيره أن عليًّاﷺ مرَّ بقومٍ يتحدثون، فقال: فيم أنتم؟ فقالوا: نتذاكر المروءة، فقال: أوَمَا كفاكم اللهﷻ ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[النحل: ٩٠] فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل، فما بقي بعد هذا؟![٤٣] وقيل لمحمد بن حرب الهلالي: قد أكثر الناس في المروءة، فصفها لنا وأوْجِز، قال: هي بحذافيرها في قول الله جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ الآية [٤٤]، وقد جعل سفيان الثوري المروءة مبنية على ركنين استمدهما من هذه الآية الكريمة، حيث سئل عن المروءة، ما هي؟ فقال: «الإنصاف من نفسك،والتفضل لله تعالى ﴿ إِنَّ

(٣٨) عين الأدب والسياسة وزين الحب والرياسة: أبو الحسن بن هذيل، ص ١٣٢، ١٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، بدون تاريخ.

(٣٩) الموطأ للإمام مالك: باب ما تكون فيه الشهادة ١/ ٣٦٨ رقم ١٣٣٤.

(٤٠) الاستذكار لابن عبد البر ٥/ ١١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض.

(٤١) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٣٨.

(٤٢) عين الأدب والسياسة لأبي الحسن بن هذيل، ص ١٣٠.

(٤٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي ١٠٣/٩، ١٠٤، مركز هجر للدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(٤٤) مرآة المروءات لأبي منصور الثعالبي، ص ١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

﴿ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ وهو الإنصاف، ﴿ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ وهو التفضل، ولا يتم الأمر إلا بهما، ألا تراه لو أعطى جميع ما يملك، ولم ينصف من نفسه لم تكن له مروءة؛ لأنه لا يريد أن يعطي شيئًا إلا أن يأخذ من صاحبه مثله، وليس مع هذا مروءة»(٤٥)، فمن استطاع أن يكون من أهل الفضل فليفعل، ومن عجز فلا أقل من الإنصاف، وهذه والله المروءة التي ترتقي بأصحابها دائمًا نحو المعالي، «فصاحب المروءة دائمًا من أهل الفضل وليس من أهل الفرض فقط، ومن أهل الإيثار وليس يحب لأخيه ما يحب لنفسه فقط، وهو من أهل الإحسان لمن أساء إليه وليس من أهل العفو فقط، وهو من أهل التغافر وليس من أهل التعاتب، وهو من أهل الهمة العالية للوصول للأجمل والأرقى والأحسن وليس ممن يكتفي بالحسن والجميل»(٤٦).

ثالثًا: المروءة تعمل على ضبط السلوك الإنساني: فالمروءة هي ذلك النداء الروحي الذي يشعر به الإنسان في أعماقه، يناديه ويحفزه ويدفعه إلى التصرف بشكل إنساني، ويردعه عن التصرف بأسلوب شيطاني أو شهواني، وبالتالي فهي تساعد الفرد على ضبط شهوته ومطامعه، وتجعله يتصرف وفق معايير تتسم بالرقي والجنوح إلى الكمال البشري، الأمر الذي يجعله أبعد الناس عن القبح والشر، بل وعن كل ما يثلم رجولته وينتقص من إنسانيته، وهو ما يؤكد أثر المروءة في ضبط سلوك الإنسان.

لقد استشعر أبو حامد الغزالي سلطان المروءة، وأهميتها في صيانة المجتمع وحمايته، فقسم الواجب إلى قسمين: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة، يقول –رحمه الله–: «بين التبذير والإقتار المذمومين وسط، وهو المحمود المأمور به، والواجب منه شيئان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة، والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحدًا منهما فهو بخيل، كالذي يمنع أداء الزكاة، ويمنع أهله وعياله النفقة، أو الذي يتيمم الخبيث من ماله، ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله أو من أوسطه، فهذا كله بخل، وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص» (٤٧).

حاجتنا إلى المروءة: ولأن المروءة هي سمة أصحاب الخلق الرفيع وسمت ذوي الهمم العلية والعزائم الفتية، فهي نادرة في الناس، لا سيما في هذا العصر، وكيف لا تكون نادرة وقد اعتبر الإمام الماوردي "أدب الدين والدنيا" كله من خصال المروءة؟!

---

(٤٥) مكارم الأخلاق للخرائطي ٧٧/١، مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تحقيق ودراسة: د. سعاد سليمان الخندقاوي.

(٤٦) المروءة في واقعنا المعاصر: د. صلاح الدين عبد الحليم، ص ١١، ١٢، سلطان للنشر، الولايات المتحدة الأمريكية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٤٧) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٢٦٠/٣، باختصار وتصرف يسير، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

فقد كتب فصلاً طويلاً في المروءة، قال في نهايته: (هذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة، وإن كان كل كتابنا هذا من شروطها وما اتصل بحقوقها)) (٤٨) معتبرًا "أدب الدنيا والدين" كله مروءة! وقديمًا رصد السلف قلة المروءة وندرتها في الناس، حتى قال مالك بن دينار: ((لو كنتُ شاعرًا لرثيتُ المروءة))(٤٩)، ومعلوم أن الرثاء يكون لمن غيبه الموت، وقد ذكروا قصة رجل تاجر كريم حسن الخلق، يركب خيلاً ويسير في دروب الصحراء، منتقلاً من مكان إلى مكان، فاعترضه رجلٌ ضعيف الحال رثُّ الثياب يستنجده ويطلب منه أن يحمله وينقله معه، فكانت شهامة الكرم وحسن الخلق داعيًا له إلى أن ينزل عن فرسه، ثم يعين ذلك الضعيف حتى يركب الفرس، فما إن تمكن الضعيف حتى انطلق بالفرس وترك الرجل، وإذا بالرجل يصيح ويقول: يا هذا، فتوقف قليلاً، قال له: لا تخبر الناس بما جرى، قال: ولماذا؟ أتخشى أن يلحقوا الخزي بك؟ قال: لا، ولكن حتى لا تضيع المروءة بين الناس، فلا يقف أحدٌ لمحتاج أو عابر سبيل (٥٠).

لقد شغل هذا التاجر خوفه على ضياع المروءة عما حدث له من غدر وخيانة، والأمر ذاته يشغل بال المصلحين والدعاة والغيورين على القيم والأخلاق، ذلك أن المروءة ((إذا كانت أصلاً قليلة في الناس، فمن الخطر أن تتراجع لتكون نادرة؛ لأن أصحاب المروءات في كل بلد أو مجتمع أو مؤسسة أو هيئة هم أعمدتها الذين تقوم عليهم أعباء تماسك ورقي هذا المجتمع، والتراجع في هذه الصفة يعني انهيارًا كاملاً له، حيث يسود ذوو الأهواء الخاصة، والأمراض النفسية، فيزداد المجتمع انحلالاً من عُرى الأخلاق والقيم السامية)) (٥١)، ولذلك كان أصحاب المروءات هم صفوة الأمم والمجتمعات، فهم كنوز ينبغي الحفاظ عليهم.

---

(٤٨) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٥٥.

(٤٩) البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي ٥٢/٧، دار صادر، بيروت، ط الرابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق د. وداد القاضي.

(٥٠) حتى لا تضيع المروءة: د. علي بن عمر بادحدح، خطبة منشورة على المنتدى الإسلامي بتاريخ ٢٠١٠/٧/٣٠م، تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/١١/٩م، رابط النشر: https://friends٤hlse.yoov.com/t٥٧٣-topic

(٥١) المروءة في واقعنا المعاصر: د. صلاح الدين عبد الحليم، ص ٤٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المطلب الثالث: وسائل اكتساب المروءة

المروءة كغيرها من الأخلاق الإسلامية، منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، ولولا ذلك لما جاء الحث عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف، ولذلك عاب ابن حبان البستي على قومٍ حسبوا أن المروءة تُنال بالميراث، وظنوا أنها تنتقل من الآباء إلى الأبناء عبر الموروثات الجينية، وأكد على أنها تنال بالإرادة الذاتية والجهد الشخصي، فقال –رحمه الله–: ((الواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة وترك الخلال المذمومة، وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم واتكلوا على أجدادهم في الذكر والمروءات، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم،.. ما رأيتُ أحدًا أخسر صفقة، ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا، من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام مع تعريه عن سلوك أمثالهم وقصد أشباههم، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم وسادوا بمن تقدمهم، وهيهات! أنَّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه! وأنَّى ينبل في الدارين إلا بكدِّه!))[٥٢]، والسعيد من كانت المروءة فيه فطرية، وعززها بالممارسة والاكتساب، ولذلك فالوسائل المعينة على اكتساب المروءة كثيرة، من أهمها:

أولا: التدريب العملي ومجاهدة النفس: من المروءة ما هو جبلّي، ويظهر ذلك في خصال فطر عليها الإنسان فهو مطبوع عليها، الأمر الذي يجعله يمارس هذه الخصال بكل سهولة ويسر، ومنها ما يكتسبه الإنسان بالتطبع، ويحتاج في ذلك إلى الصبر والمجاهدة، وحمل النفس على الأخلاق والآداب التي تقتضيها المروءة، ويواظب على ذلك حتى تصبح خصال المروءة خُلُقًا له، وطبعًا فيه، فتتيسر عليه.

ولو كانت المروءة يسيرة لادَّعاها كل الناس، ولتجاسر عليها أراذل البشر، وهو قول ابن عائشة القرشي: ((لولا أن المروءة متصعب محلها، لما ترك اللئام للكرام منها بيتة ليلة))[٥٣]، وعقَّب ابن هذيل قائلاً: ((وقلما اجتمعت شروطها قط في إنسان، ولا اكتملت وجوهها في بشر، فإن كان ففي الأنبياء صلوات الله عليهم دون سائرهم، وأما الناس فيها فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها، واحتوى عليه من خلالها))[٥٤]، ولذلك لا تنال المروءة إلا بالمعاناة وتحمل المشاق، وهو قول الماوردي –رحمه الله–: ((من حقوق المروءة وشروطها ما لا يتوصل إليه إلا بالمعاناة، ولا يوقف عليه إلا بالتفقد والمراعاة، فليس

(٥٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي، ص ٢٣٠.
(٥٣) عين الأدب والسياسة: أبو الحسن بن هذيل، ص ١٣٢.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ينقاد لها مع ثقل كلفها إلا من تسهلت عليه المشاق رغبةً في الحمد، وهانت عليه الملاذّ حذرًا من الذم، ولذلك قيل: سيد القوم أشقاهم»[٥٥]، أي: أكثرهم تحملا للمشقة، وقد لحظ المتنبي ذلك في قوله:

لولا المشقة سَادَ الناسُ كلهم الجود يُفقِرُ والإقدام قتَّالُ [٥٦]

وله أيضًا:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبتْ في مرادها الأجسامُ [٥٧]

والداعي إلى تحمل المشاق واستسهال المجاهدة شيئان: **الأول: علوّ الهمة:** فإن من علَت همتُه زادت مروءتُه، ذلك أن علو الهمة باعث على التقدم، أَنَفَةً من خمول الضَّعَة، واستنكارًا لمهانة النقص، ولذلك قال النبيﷺ: **(إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سَفْسَافَها)** [٥٨]، أي: رديئها وحقيرها، ونحو ذلك من الأمور التي تنبئ عن الخسة والدناءة وعدم المروءة، وقال بعض العلماء: «إذا طلب رجلان أمرًا ظفر به أعظمهما مروءة»، وذلك لعلو همته. **والثاني: شرف النفس:** فبه يكون قبول التأديب، واستقرار التقويم والتهذيب، فإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة [٥٩]، وعليه فإن تحصيل أسباب المروءة مرتبط بشرف النفس وعلو الهمة، إذا اجتمعا ولم يتفرقا، ومجاهدة النفس وحملها على مقتضى المروءة يتطلب التضحية بكثير من مغريات الحياة ولذائذها، قال معاويةرضي الله عنه: «المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى»[٦٠]، وبالمجاهدة تعتاد النفس خصال المروءة، ويتولد لدى المرء شعور باللذة وإحساس بالسعادة يعوضه عما لقيه من تعب، وما كابده من مشقة، يقول محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان: جمعتنا أُمُّنا فاطمة بنت الحسن فقالت: «يا بَني، إنه والله ما نال أحدٌ من أهل

(٥٥) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٦.

(٥٦) ديوان المتنبي، ص ٤٩٠، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٥٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٣١/٣ ح رقم ٢٨٩٤ من حديث الحسين بن عليرضي الله عنه، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم ١٦٢٧.

(٥٩) راجع بتصرف: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(٦٠) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٦١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

السفه بسفههم ولا أدركوه من لذاتهم إلا وقد أدركه أهل المروءات بمروءاتهم»[٦١]، وقال الشيخ محمد الخضر حسين –رحمه الله– : «إذا كانت المروءة تقتضي الإعراض عن كثير من اللذات، فإن في المروءة نفسها لذة تفوق كل نعيم في هذه الحياة، وإذا كان في حفظ المروءة ملاقاة كثير من المشاق، فإن راحة الضمير التي يجدها الرجل عندما يبلغ في المروءة غاية سامية تنسيه كل مشقة، ولا يبقى معها للتعب باقية، قال المتنبي:

تَلَذُّ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يَلَذُّ له الغرامُ [٦٢]

ولذة المروءة في شعور النفس ببلوغها كمال الرجولية، أو قربها منها، وإذايتها لصاحبها بما لها من تكاليف باهظة، لا ينهض بها إلا ذو صبر متين» [٦٣].

ثانيًا: إعمال العقل: فهو وسيلة فعالة من وسائل اكتساب المروءة، وكيف لا يكون كذلك وقد اعتبر النبيﷺ أن المروءة هي العقل، فقال: **(كَرَمُ المؤمن دينُه، ومروءتُه عقلُه، وحَسَبُهُ خُلُقُه)**[٦٤]، ففي الحديث تصريح بأن المروءة هي العقل، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب، واجتناب الخطأ[٦٥]، وحاول بعض الحكماء أن يفرق بينهما، فإذا به يؤكد على تكاملهما وحاجة كل منهما إلى الآخر، فقال: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل»[٦٦]، وإنما كانت المروءة هي العقل لأن به يتميز الإنسان عن الحيوان، وبه يعقل نفسَه عن كل خلق دنيء. وسبق القول بأن حد المروءة: غلبة العقل للشهوة، فرجاحة العقل من دواعي المروءة؛ إذ العقل الراجح هو الذي يقود الإنسان للانضباط بأخلاق الإسلام وآدابه، ويساعده على ضبط عواطفه، فلا ينساق وراء غرائزه وشهواته، وإنما يُعمل عقله، ويتدبر عواقب أمره، فالعقل هو القائد، قال ابن المقفع: «المروءات

---

(٦١) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٦٢) ديوان المتنبي، ص ١٠٣.

(٦٣) رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص ١٥.

(٦٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٣٢/٢ ح رقم (٤٨٣)، والحاكم في "المستدرك" ١٢٣/١، ح رقم (٤٢٥)، وقال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٢٧٢/٣: رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه ٢١٢/١ وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٦٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان البستي، ص ٢١.

(٦٦) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

كلها تبعٌ للعقل» (٦٧)، وقال صالح اللحيمي: «لا مروءة لمن لا أدب له، ولا أدب لمن لا عقل له» (٦٨)، فمن اجتمع له رجاحة العقل وعلو الهمة فقد حصَّل المروءة، ولأمر ما فقد جعل العلماء فساد العقل من خوارم المروءة (٦٩)، ذلك أن فساد العقل سبب في ارتكاب ما يخل بالمروءة، وهو ما يجعل الإنسان غير موثوق الكلام، وبالتالي لا تقبل شهادته.

ثالثًا: التنشئة الصالحة والبيئة الطيبة: فالبيئة تعتبر من أخطر وأعظم وسائل التوجيه والتأثير، وتزداد خطورة البيئة وأهميتها في سنوات الحياة الأولى، حيث تكون مرحلة النشأة والتكوين، ويكون القلب كالمرآة الصافية، فتنطبع فيه المشاهد وتتمكن منه، ومن ثم جاء التحذير النبوي من الدور السيء الذي يمكن أن يلعبه الأبوان في انحراف ولدهم عن الفطرة، قالﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)** (٧٠)، «فحقيقٌ بنا أن نربي أبناءنا على رعاية خصال المروءة منذ عهد التمييز، حتى لا تسبق إليهم أخلاق غير نقية، وعادات غير مرضية، فتحول بينهم وبين الفضائل، فلا تجد المروءة إلى نفوسهم مدخلا.

إذا المرء أعيَتْهُ المروءة ناشئًا فمطلبها كهلاً عليه عسيرُ

نربي أبنائنا على ما يثبت قواعد المروءة، ويرفع بناءها، ليحمدوا أبوتنا، ويكونوا قرة عينٍ لنا، وأسوة حسنة لأحفادنا، وزينة لأوطاننا، وليفوزوا بالعزة في الدنيا والسعادة في الآخرة» (٧١).

وفي البيئة الطيبة يتعلم الجميع – صغارًا وكبارًا – أخلاق المروءة ويلتزم بآدابها، يقول فضل بن دَلْهَم: «كنا نتعلم المروءة في عسكر هشام بن عبد الملك كما يتعلم الإنسان القرآن» (٧٢)، وفي الجاهلية كان العرب يدفعون أولادهم إلى البادية صقلاً لمواهبهم، وحفاظًا على مروءاتهم، كما فعل عبد المطلب جدّ النبيﷺ حينما أرسله إلى بادية بني سعد وهو صغير، مما كان له أعظم الأثر

---

(٦٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان البستي، ص ٢١.

(٦٨) الأدب والمروءة: صالح اللحيمي، ص ١٢.

(٦٩) خوارم المروءة: هي كل فعل أو قول أو حرفة يوجب فعلها أو تركها الذم في عادات الناس وأعرافهم المعتبرة شرعًا. راجع: عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي: شويش المحاميد، ص ٣٥٧.

(٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز – باب ما قيل في أولاد المشركين ٤٦٥/١ ح رقم ١٣١٩ من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

(٧١) رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص ١٦.

(٧٢) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٥٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

في إكسابه خصال المروءة، وتهيئته للنبوة، وفي ذلك يقول وحيد الدين خان: «إن هؤلاء القوم الذين نشأوا في جزيرة العرب وشبُّوا في الكثبان الرملية، والصحارى القاحلة الجدباء، كانوا يتمتعون بميزات يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي "المروءة"»(٧٣)، وفي هذه البيئة نشأ أبو بكر الصديق، فقد سئل ﷺ: هل شربتَ الخمر في الجاهلية؟ قال: أعوذ بالله، قالوا: ولم ذاك؟ فقال: كنتُ أصون عرضي وأحفظ مروءتي؛ لأنه من شرب الخمر كان لعرضه ومروءته مضيعًا (٧٤).

رابعًا: صحبة ذوي المروءات والإكثار من مجالستهم: ولأن الصاحب ساحب، والطباع يسرق بعضها من بعض، كان تأثير الصاحب في صاحبه والجليس في جليسه كبيرًا، وبالتالي عده العلماء من وسائل اكتساب المروءة، فقد أسند ابن حبان عن بعضهم قال: «مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب» (٧٥)، ونقل عن معاوية ﷺ قوله: «آفة المروءة إخوان السوء» (٧٦)، وحذر الزهري من جليس السوء ومن مصاحبته، وجعل ذلك من تمام المروءة فقال: «ما طلب الناسُ شيئًا خيرًا من المروءة، ومن المروءة ترك صحبة من لا خير فيه ولا يستفاد منه عقل، فتركه خيرٌ من كلامه» (٧٧)، ومما روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود، لا تصحب إلا امرءًا تكاملت فيه المروءة والدين، فإن صاحب المروءة لا يكذب» (٧٨)، وكيف يكذب وهو ذو دين يردعه ومروءة تهذبه؟! وقال عبد الواحد بن زيد: «جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا، ولا تجالسوا غيرهم، فإن كنتم لا بد فاعلين فجالسوا أهل المروءات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم» (٧٩)، وقال غيره: «يجب على العاقل الأديب أن ينتقي إخوانه ويتخير أخدانه، ويفتش عن الأصحاب، ويجالس ذوي الألباب، ويستخلص أهل الفضل وأهل المروءات والعقل» (٨٠).

---

(٧٣) البعث الإسلامي "المنهج والشروط": وحيد الدين خان، ص ١٣٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ترجمة: محسن عثمان الندوي، ومراجعة: د. عبد الحليم عويس.

(٧٤) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣٣/١.

(٧٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان البستي، ص ٢٣٤.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٧٧) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٨٠.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٧٩) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان البستي، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٨٠) الموشى، أو الظرف والظرفاء: محمد بن إسحاق أبو الطيب، ص ١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

هذا، وتأثر الإنسان بأصحابه وجلسائه تلقائي لا شعوري في ذات الوقت، فهو يقضي معهم من الوقت أكثر مما يقضي مع أهله، سواء كانوا صحبة عمل، أو زملاء دراسة، أو رفقة سفر، فهم يؤثرون في سلوك الإنسان وانفعالاته وتصرفاته تجاه المواقف والأحداث، فإذا كانوا من ذوي المروءة فإن مصاحبتهم والإكثار من مجالستهم تبعث على المروءة، إذ الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء.

خامسًا: مطالعة سِيَر السابقين من أصحاب المروءات: فهم قومٌ فضلاء، تذوقوا حلاوة المروءة فعرفوها، وفهموا معناها فعاشوها، حتى أصبحوا لها أعلامًا ومصابيح، يقتدي بهم كل من يخطب وُدَّها، ذلك أن «المروءة كلمة تملأ آفاق النفس أملاً وعزيمة، وتذكِّر بأعلام في الإسلام، سجلوا على صفحات الأيام بسالةً وإحسانًا، وتنبئ عن آثار علماء طبعوا على جبين التاريخ مواقف شجاعة لا تنسى» (٨١).

والواجب على كل باحث عن المروءة ومتشوق إلى التحقق بها والتحلي بأخلاقها وآدابها أن يديم النظر في كتب التاريخ الإنساني بشكل عام، والإسلامي منه بشكل خاص، وأن يكثر من مطالعة سير الأنبياء والمرسلين، لا سيما خاتمهم محمدﷺ، وأن يستخرج منها قصص ومواقف من عرفوا بالمروءة، فإنها مليئة بصور حية ومشرقة في المواظبة على خصال المروءة، وأن يتأمل هذه القصص وتلك المواقف، فإن ذلك يحمل على الاقتداء والتأسي، أو على الأقل المحاكاة والتشبه، وليكن رائدُه في ذلك قول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح (٨٢)

وسوف يجد القارئ في المبحثين التاليين صورًا مضيئة لذوي المروءات من الدعاة والمدعوين، يستطيع كل متطلع إلى اكتساب المروءة أن يجد فيها بغيته، وأن يستفيد من مواقف وتجارب ذوي المروءات.

---

(٨١) مقدمة كتاب المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٥.

(٨٢) ديوان السهروردي، شهاب الدين أبو الفتوح، ص ٦٢، مطبعة الرفاه، بغداد، طبعة ٢٠٠٥م. شرح وتحقيق: كامل الشيبي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المبحث الثاني: مروءة الداعية وأثرها في الدعوة

بعد الحديث عن مفهوم المروءة وحقيقتها، وقيمتها، ووسائل اكتسابها، يحين الحديث عن أصحاب المروءات في ميدان الدعوة إلى اللهﷻ من الدعاة والمدعوين، والداعية هو أحوج الناس إلى المروءة وأولاهم بها، فلا غنى له عن خصال المروءة، فهي سبيله إلى كسب قلوب المدعوين، وحاجة الداعية إلى المروءة لا تقل عن حاجته إلى تقوى اللهﷻ، فبها يستقيم ظاهر الداعية وباطنه، الأمر الذي يجعل له مصداقية وقبولا لدى الناس، فيصير بذلك أقرب إلى الكمال البشري، وفي ذلك يقول الشاعر:

وإذا الفتى جمع المروءة والتقى وحَوَى مع الأدب الحياء فقد كمُل (٨٣)

ويقول بعض العلماء: «اتقِ مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة، واتق مصارع الآخرة بالتعلق بحبل التقوى، تفُز بخير الدارين، وتحلَّ أرفع المنزلتين» (٨٤)، وعليه، فإن من أهم ما يميز الداعية عن غيره من عامة الناس: التحلي بخلال المروءة، لا سيما إذا جمع مع المروءة التقوى، فبالاثنين معًا يتحقق صدق الداعية وحسن سمته بين الناس. وسيكون حديثي عن "مروءة الداعية" من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: درجات المروءة ومراتبها لدى الداعية

للمروءة حقوق لا تتأتى إلا بها، وهي كثيرة، أكثر من أن تحصى، اعتبرها الإمام الماوردي شروطًا، وحصرها في قسمين: أحدهما: شروط المروءة في نفسه، والثاني: شروطها في غيره (٨٥)، واعتبرها الإمام ابن القيم درجات: الدرجة الأولى: مروءة المرء مع نفسه، والثانية: المروءة مع الخلق، والثالثة: المروءة مع الحق سبحانه (٨٦)، وما من خصلة من خصال المروءة إلا وهي تندرج تحت درجة من هذه الدرجات، وواجب الداعية أن يحقق المروءة بكافة أنواعها وجميع درجاتها على النحو التالي:

---

(٨٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ٦٤٦/١، والبيت للشاعر منصور الفقيه.
(٨٤) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ١٣٢.
(٨٥) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٩.
(٨٦) مدارج السالكين لابن القيم ٣٥٣/٢، وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الدرجة الأولى: مروءة الداعية مع نفسه: بأن يحملها قسرًا على فعل ما يجمِّل ويَزين، وترك ما يدنس ويَشين، ليصير لها ملكة في العلانية، فلا يفعل خاليًا ما يستحي من فعله في الملأ (٨٧)، والقصد: أن يحفظ نفسه حتى وهو في خلوته، فيتورع عن فعل ما يستحي من فعله أمام الناس، وتتحقق مروءة الداعية في نفسه – بعد التزام ما أوجبه الشرع من أحكامه – بثلاثة أمور وهي:

١– العفة: وهي إما عن المحارم، وذلك بضبط الفرج عن الحرام، وكف اللسان عن الأعراض، وإما عن المآثم، وذلك بالكف عن المجاهرة بالظلم، وزجر النفس عن الإسرار بخيانة، ونحو ذلك (٨٨).

٢– **النزاهة:** ومقصودها: أن ينزه الداعية نفسَه عن المطامع الدنيَّة، وعن مواقف الريبة، فأما المطامع الدنية فلأن الطمع ذل، والدناءة لؤم، وهما أدفع شيءٍ للمروءة، وأما مواقف الريبة فهي أضر شيءٍ على الداعية، وقد يقول قائل: تنتفي الريبة عن الداعية بحسن الثقة، وترتفع التهمة بطول الخبرة، ولكن لا ينبغي أن يجعل ذلك طريقًا إلى الاسترسال، وليكن الحذر عليه أغلب، وإلى الخوف من تصديق التهم أقرب، فما كل ريبة ينفيها حسن الثقة، وهذا رسول اللهﷺ – وهو أبعد خلق الله من الريب وأصونهم من التهم – وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب المسجد يحادثها وكان معتكفًا، فمرَّ به رجلان من الأنصار، فلما رأياه أسرعا، فقال لهما: **على رِسْلِكُما، إنها صفية بنت حيي،** فقالا: سبحان الله! أفيك شكٌّ يا رسول الله؟ فقال: **(إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى لحمه ودمه، فخشيتُ أن يقذف في قلبيكما سوءًا)** (٨٩)، فكيف بمن تخالجت فيه الشكوك وتقابلت فيه الظنون! (٩٠).

٣– الصيانة: ومقصودها: أن يصون الداعية نفسه، بأن يحفظها عما يعيبها ويشينها، ويتحقق ذلك بالاقتصاد في المعيشة، والاستغناء عن الناس، أما الاقتصاد فلأن المحتاج يعرض نفسه لذل السؤال ومعرَّة الاحتياج، فإن طلب المال لسدّ حاجته والوفاء بضروراته فليكن بشروط هي: أخذ المال من حله، وعدم ابتذال العِرض فيه، وحسن التدبير في المعيشة، فإن استكمل هذه

---

(٨٧) المصدر نفسه ٣٥٣/٢.

(٨٨) راجع: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٢٩، وما بعدها.

(٨٩) رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق – باب صفة إبليس وجنوده ١١٩٥/٣ ح رقم ٣١٠٧، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام – باب أن يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول هذه فلانة ليرفع سوء الظن به ١٧١٢/٤ ح رقم ٢١٧٥.

(٩٠) راجع: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٣٤ وما بعدها باختصار وتصرف يسير.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الشروط فيما يستمده من قدر الكفاية فقد أدى حق المروءة في نفسه، ولذلك لما سئل الأحنف بن قيس عن المروءة قال: ((العفة والحرفة))، وأما الاستغناء عن الناس فلأنَّ تحمُّل مِنَن الناس ذل، والاسترسال في الاستعانة بهم تثقيل عليهم، ومن ثقل على الناس هان، ولا قدْرَ عندهم لمهان، وقديمًا قالوا: ((مَن قَبِل صلتك فقد باعك مروءته وأذلك عزته))، ومن أقدم من غير اضطرار على سؤال الناس والاستعانة بجاههم أو بمالهم، فقد أوْهَى مروءته، وأضرَّ بدعوته(٩١).

الدرجة الثانية: مروءة الداعية مع الخلق: وذلك بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه، وليتخذ الناس مرآة لنفسه، فكل ما كرهه ونفر عنه من قول أو فعل فليجتنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله. والمقصود: أن يخالط الداعية الناس، وينتفع بكل من خالطه وصاحبه، من كامل وناقص، وسيء الخلق وحسنه، وعديم المروءة وغزيرها، وكثير من الناس يتعلم المروءة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها (٩٢)، وهو قول صاحب "الإحياء": ((أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذمومًا فيما بين الخلق فليطالب نفسه به، وينسبها إليه، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه، فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره، وناهيك بهذا تأديبًا))(٩٣)، ولمروءة الداعية مع غيره شروط منها:

١– المؤازرة: وتكون بمعاونة الناس وإسعافهم بالجاه وفي النوائب، أما الإسعاف بالجاه فيكون من الأعلى قدرًا والأنفذ أمرًا، وربما كان أعظم من المال نفعًا، وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون، وأما الإسعاف في النوائب فهو واجب فيما يتعلق بالأهل والإخوان والجيران، وتبرع فيمن عدا هؤلاء الثلاثة، فمن قام بالواجب فقد زاد على شرط المروءة وتجاوزها، ومن تبرع لغيرهم، فهو تبرع بفضل الكرم وفائض المروءة (٩٤).

٢– المياسرة: وتكون بالعفو عن الهفوات، والمسامحة في الحقوق والواجبات، أما العفو عن الهفوات فشيمة أهل الفضل، وأما المسامحة في الحقوق والواجبات فلأن الاستقصاء منفِّر، لمقت الطباع لمن شاحّها، وحب من سامحها، والمسامحة مع اختلاف أسبابها تفضُّلٌ مأثور، وتألُّفٌ مشكور، ومروءة عليها مأجور(٩٥).

---

(٩١) راجع بتصرف: المرجع السابق، ص ٣٢٦ وما بعدها، وراجع أيضًا: عين الأدب والسياسة لابن هذيل، ص ١٣٧.
(٩٢) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ٣٥٣/٢ بتصرف يسير.
(٩٣) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٦٥/٣، دار المعرفة، بيروت، بدون.
(٩٤) راجع: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٤١ وما بعدها.
(٩٥) عين الأدب والسياسة لابن هذيل، ص ١٣٨، وراجع: السابق، ص ٣٤٤ وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

٣–الإفضال: وهو نوعان: إفضال اصطناع: ويتضمن ما أسداه جودًا في شَكور، أو ما تألف به جَفوة نَفور، فهو معروف يصنعه يستميل به قلوب المقبلين، ويتألف به نفوس النافرين، وإفضال استكفاف: يكفُّ به أذى السفهاء ويتقي به شرهم؛ لأن الداعية لا يعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتريه الجهل بإظهار عناده، ويبعثه اللؤم على البداء بسفهه، فإن استكفَّ أمثال هؤلاء بالإفضال صان عِرضَه (٩٦).

ومما سبق يتبين أن مروءة الداعية مع الخلق تقتضي بذل كل ما يمكن بذله، فمروءة كل شيءٍ بحَسَبِه، قال ابن القيم رحمه الله: ((فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه، ومروءة الخُلُق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض، ومروءة المال: الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلا وعرفًا وشرعًا، ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه، ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره، وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه))(٩٧)، ومن كان عاجزًا عن البذل بخيلاً بالعطاء فهو أعجز الناس عن المروءة، وهو قول الأحنف بن قيس: ((البخيل لا مروءة له))(٩٨)، فالبخيل لا يطيق المروءة ولا يتحمل كُلفَتَها.

الدرجة الثالثة: مروءة الداعية مع الخالق سبحانه وتعالى: ويكون ذلك بالاستحياء من نظره إليك واطلاعه عليك في كل لحظة ونَفَس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان، فإنه قد اشتراها منك، وأنت ساعٍ في تسليم المبيع وتقاضي الثمن، وليس من المروءة: تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً (٩٩)، وإذا كانت مروءة الداعية مع نفسه تقتضي أن لا يفعل في السر ما يستحي من فعله علانيةً، فالله أحق أن يستحيا منه، وإذا كانت مروءته مع الخلق تقتضي أن يظهر لهم الأدب والحياء والخلق الجميل، فاللهﷻ أجدر بالتوقير والإجلال، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] أي: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته (١٠٠)، وكمال المروءة أن يستحي العبد من الله حق الحياء، وأن يتقيه حق تقواه، وهو قول أبي هريرةرضي الله عنه: ((جماع المروءة في تقوى الله)) (١٠١).

---

(٩٦) راجع: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٥٣ وما بعدها.
(٩٧) مدارج السالكين لابن القيم ٣٥٢/٢.
(٩٨) الأمالي لأبي عليّ القالي ٢٣٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
(٩٩) مدارج السالكين ٣٥٣/٢، ٣٥٤.
(١٠٠) راجع: تفسير الطبري ٦٣٤/٢٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.
(١٠١) المروءة: سيد عاصم علي، ص١٠، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ولستُ أرى المروءة مع الخالق جل وعلا هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي فحسب، ولكنها ارتقاء بالنفس يقتضي مشاهدة النعم ودوام شكر المنعِم عليها، ويقتضي ذلك كمال الخشية مع كمال الحياء، كما يقتضي النظر الدائم في عيوب النفس والعمل على إصلاحها، حتى ترتقي وتصلح ثمنًا للجنة، فليس من المروءة تسليم المبيع على ما فيه من العيوب، وتقاضي الثمن كاملاً.

المطلب الثاني: مظاهر المروءة لدى الداعية

المروءة جزء من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وكذا المروءة، تزكو بالممارسة، وتنقص وتتلاشى بالإهمال، وقديمًا قال العرب في الذم: ((فلان زَمِن المروءة، أي: أن مروءته دارسة بالية)) (١٠٢)، والداعية الذي يأخذ بأسباب المروءة، ويبذل جهده في تحصيلها، تزيد مروءته وتنمو وتؤتي أكلها، وبمقدار ما يأتي الداعية من آدابها ومظاهرها تسمو نفسه، وتتهذب أخلاقه، ويعظم تأثيره في نفوس من حوله، ولذلك فإن منازل الدعاة فيها تتباين، تبعًا لما يحصله كل داعية من حقوقها وآدابها، وسأحاول من خلال بعض الآداب والمظاهر، أن أرسم ملامح وسمات "الداعية صاحب المروءة" على النحو التالي:

١ – التعقل والأناة والاتزان النفسي: وقد امتدح النبيﷺ ذلك في أشج عبد القيس حين قال له: **(إنَّ فيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ، الحِلْمُ والأناة)** (١٠٣)، وعبد القيس قبيلة، والأشج رئيسها، واسمه المنذر بن عائذ، والحِلم: العقل، والأناة: التؤدة وترك العجلة، وسبب قول النبيﷺ ذلك له هو أنهم لما وصلوا المدينة، بادر الوفد إلى النبيﷺ، وتخلف الأشج عند رحالهم، فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبيﷺ، فقرَّبَه وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبيﷺ: **(تبايعون على أنفسِكم وقومِكم)**؟ فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشدّ عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل مَن يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: **(صدقت)**، فكان في تريثه وعدم استعجاله حتى أصلح رحله وشأنه دليلاً على أنَاتِهِ، وكان فيما قاله للنبيﷺ عن إسلام قومه دليلاً على وفور عقله، وجودة نظره للعواقب (١٠٤).

---

(١٠٢) رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص ٨.

(١٠٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسولهﷺ وشرائع الدين ٤٨/١ ح رقم ١٨، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب – باب قبلة الرجل ٥٢٥/٤ ح رقم ٥٢٢٧، واللفظ لأبي داود.

(١٠٤) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٩/١ بتصرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٢٩هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ومن مظاهر التعقل والأناة: أن يكون معتدلاً في مشيته متزنًا في تصرفاته، فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجَلَة، كأن يكثر الالتفات في الطريق، ويعجل في مشيه العجلة الخارجة عن حد الاعتدال، قال إبراهيم النخعي: «ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق، ولا سرعة المشي» (١٠٥)، ومن المظاهر كذلك: أن يكون الداعية متئدًا في كلامه، يرسل كلماته مفصلة، ولا يخطف حروفها خطفًا حتى يكاد بعضها يدخل في بعض، ومن المظاهر: ضبط النفس عند هيجان الغضب أو دهشة الفرح، ولزوم حد الاعتدال في حالي السراء والضراء (١٠٦). قيل للأحنف بن قيس: ما المروءة؟ قال: «الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة» (١٠٧).

٢– الصراحة والترفع عن المواربة والمداهنة والنفاق: فلا يبدي لشخص الصداقة، وهو يحمل له العداوة، أو يشهد له باستقامة السيرة، وهو يراه منحرفًا عن السبيل، والمراد: أن صاحب المروءة لا يتخذ الظهور بخلاف ما يضمر عادةً، مثلما يفعل قوم لا تشمئز نفوسهم من الملَق والرياء، وهذا بخلاف المداراة التي يقصد بها: التلطف بالإنسان للحدّ من ضرره، والغرض منها: التلطف بالآخرين وتجنب إثارة الخلاف معهم للوصول بهم إلى الحق، وهي من مكملات المروءة، قال سَلْم بن قتيبة: المروءة الصبر على الرجال، فسئل: ما الصبر على الرجال؟ فوصف المداراة (١٠٨)، وقال غيره: «المروءة التذلل للأحباب بالتملُّق، ومداراة الأعداء بالترفق» (١٠٩)، فالمداراة عامل جذب وكسب للمدعوين، تحبب الداعية إليهم فيثقون به ويلتفون حوله، أما النفاق والمداهنة بقصد إقرار الآخرين على باطلهم فليس من المروءة في شيء، وضرره على الدعوة كبير.

٣– أن يسود مجلسه الجد والحكمة والوقار: فهو مجلس علم ومعرفة وخلق، ومن مظاهر مروءة الداعية في مجلسه: أن لا يكثر المزاح إلا بالقدر الذي يتحقق به إيناس زواره وقاصديه، فإن كثرة المزاح تذهب المروءة، ووجه ذلك: أن الذي يسرف في المزاح يكثر منه الوقوع في لغو الحديث، ولا يخلو من أن تصدر منه كلمات تؤذي بعض جلسائه، وكمال الإنسانية لا يلتقي بلغو الحديث، أو إيذاء البعض في مجلسه. ومن المظاهر: حسن إصغاء الداعية لمن يحدثه، فإن إقباله على محدثه بالإصغاء إليه

---

(١٠٥) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ٢٩٥/١، دار الكتب المصرية، القاهرة، طبعة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.
(١٠٦) راجع: رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص١١ باختصار.
(١٠٧) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ٦٠.
(١٠٨) راجع: السنن الكبرى للبيهقي، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ١٩٥/١٠.
(١٠٩) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي، ص ٢٣٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

يدل على ارتياحه لمجالسته، وأُنسِهِ بحديثه، سأل الأحنفُ فتًى كان يجلس إليه: يا فتى، هل تزين جمالك بشيء؟ قال: نعم، إذا حَدثتُ صدقت، وإذا حُدثت استمعت،.. فقال الأحنف: هذه المروءة حقًّا(١١٠)، وللداعية في رسول اللهﷺ أسوة حسنة، فقد جاء إليه عتبة بن ربيعة يعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها ويكف عن دعوتهم، فقال له رسول اللهﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع،.. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول اللهﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: **(فاسمع مني..)** (١١١)، وهذا من مروءته وكمال خلقهﷺ. ومن المظاهر: أن يكون حافظًا لما يؤتمن عليه من أسرار، فذو المروءة لا يفشي سرًّا ائتمن عليه، والمجالس بالأمانة كما أخبر النبيﷺ(١١٢)، ومن كلام أفلاطون: «من تمام مروءة الرجل كتمانه السر»(١١٣). ومن المظاهر أيضًا: أن يتجنب الداعية تكليف زائريه ولو بعمل خفيف (١١٤)، يقول رجاء بن حيوة: سمرتُ ليلةً عند عمر بن عبد العزيز، فغشي السراج، أي: انطفأ المصباح، فقلتُ له: أنبِّه الوصيف؟ أي: الخادم، قال: لا، قد نام، فقلتُ له: أفأقوم أنا فأصلحه؟ قال: ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه (١١٥).

٤– احتمال ضيق العيش وتنزيه الدعوة عن المطامع الدنيوية: وذلك بأن يصون نفسه ويعز دعوته، ولا يبذل ماء حياته وكرامته في السعي للوصول إلى ما في أيدي الناس، كأن يجلس إلى غني ويظهر أمامه الشكوى ويتضعضع له لدنيا تصيبه، وفي السيرة النبوية أن النبيﷺ بايع نفرًا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا، فكان يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه(١١٦)، وهذا لأهل العزائم من أصحاب الدعوات، فهم مأمورون بصيانة أنفسهم عن ذل الحاجة ومعرّة السؤال، فالدعوة سلعة غالية لا يبذلها الداعية مقابل متاع دنيوي، يفسد المروءة ويضر بالدعوة، وهو ما أكده أنبياء الله ورسله الكرام، فقد حكى

---

(١١٠) راجع: المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ١١١.

(١١١) راجع: سيرة ابن هشام ٢٩٢/١ من حديث محمد بن كعب القرظيرضي الله عنه.

(١١٢) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٣٤٢/٣ ح رقم ١٤٧٤٩، وأبو داود في سننه ٤١٩/٤ ح رقم ٤٨٧١ من حديث جابررضي الله عنه، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" ح رقم ٢٣٣٠.

(١١٣) المروءة لأبي بكر بن المرزبان، ص ١١١.

(١١٤) راجع بتوسع: رسائل الإصلاح للإمام محمد الخضر حسين، ص ١٣، ١٤، ١٥.

(١١٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠٢/٧ رقم ٩٦٤١.

(١١٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة – باب كراهته المسألة للناس ٧٢١/٢ ح رقم ١٠٣٤ من حديث عوف بن مالك الأشجعيرضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

القرآن الكريم حرص كل واحد منهم على ما يؤكد هذا المبدأ قائلا: ﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[الأنعام: ٩٠]، وإذا أدرك الناس تجرد الداعية ونزاهته، فإنهم ينجذبون إلى الدعوة، وهو قول الحسن البصري رحمه الله: «لا تزال كريمًا على الناس ما لم تعاطِ ما في أيديهم، فإذا فعلتَ ذلك استخفُّوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك»(١١٧)، قد يطمع الداعية فيما في أيدي الناس، فيقبل منهم ما لا ينبغي قبوله، ويفتح يديه ويمدُّ عينيه إلى ما متَّع الله به أزواجًا منهم، الأمر الذي يحط من دعوته في أنظار الناس، فيهون عليهم ويصغر في أعينهم، فليكن الداعية من أصحاب الأيدي العالية والنفوس الكبيرة، ويتحلى بالمروءة التي هي إحدى عناصر الشخصية المسلمة، ومكون من مكونات الثقة.

٥– العطاء بلا حدود: وإذا كانت المروءة تحتم على الداعية أن يكون عفيفًا في الأخذ، فهي تدفعه إلى العطاء بلا حدود حسب الطاقة، حتى كادت المروءة أن تكون عطاءً في جميع مراحلها، وهو قول ميمون بن مهران: «أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني: التودد إلى الناس، والثالث: قضاء الحوائج»(١١٨)، فطلاقة الوجه والابتسامة في وجوه العابثين عطاء، والتودد إلى الناس والتلطف بهم عطاء، وقضاء الحوائج والسعي في خدمة الناس ونفعهم عطاء، إذ «الأصل في المسلم أن يسعى إلى تقديم الخدمة لمن يحتاجها، والنصيحة لمن يجهلها، والمنفعة إلى من هو أهلٌ لها، بمبادرة منه وحرص من طرفه، فمثل هذه الخدمات تعمق في نفس الداعية معاني الخير، وتجعل المجتمع من حوله يرى فيه حرصًا عمليًّا على كل ما يعود عليهم بنفع، أو يدفع عنهم ضررًا. لقد جعل النبيﷺ المؤمن مثلا في دوام النفع به، وشبه النخلة به لدوام خضرتها، وإمكانية الانتفاع بكل ما فيها، فقال: **(إني لأعلم شجرةً يُنتَفَعُ بها مثل المؤمن)** (١١٩)، والمؤمن يحرص على تقديم خيره إلى الناس لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ولا تتحكم به مشاعر شخصية، أو مواقف عارضة، وقد عاتب ربُّناﷻ أبا بكرﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة لمشاركته في حديث الإفك، تقول عائشة رضي الله عنها: (فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعةٍ أبدا فأنزل اللهﷻ:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ – إلى آخر الآية يعني أبا بكر – وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ – يعني مسطحًا إلى قوله – أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[النور: ٢٢] حتى قال أبو بكرﷺ: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع) (١٢٠)،

(١١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ٢٠/٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.
(١١٨) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ٢٩٦/١.
(١١٩) أخرجه أحمد في مسنده ١١٥/٢ ح رقم ٥٩٥٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(١٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير – باب سورة النور ١٧٨٠/٤ ح رقم ٤٤٧٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

أي: أعاد النفقة على مسطح)) (١٢١)، وفي الحديث: **(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)** (١٢٢)، فالداعية نفعه متعدٍّ إلى الناس جميعًا، فهو كالغيث أينما وقع نفع، والمطر حين ينزل لا يفرق بين قصور الأغنياء ودور الفقراء، بل فيه النفع للجميع. ومروءة الداعية تقتضي السعي في حوائج الناس، وتحمل همومهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، وعدم ادخار وسع أو جهد في تقديم العون لهم، وهو حال رسول اللهﷺ قبل البعثة وبعدها، فقد ذهب يرجف فؤاده في بداية نزول الوحي، حتى قال: **(لقد خشيتُ على نفسي)**، فهدَّأت السيدة خديجة من روعه وقالت له: **(والله لا يخزيك اللهُ أبدًا، إنك لتصِلُ الرَّحِم، وتصدُقُ الحديث، وتحمِلُ الكَلّ** [أي: الضعيف]**، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)** (١٢٣)، فقد وصفته بأصول مكارم الأخلاق؛ لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن، أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره، أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به(١٢٤)، وقريبٌ من ذلك وصف ابن الدَّغِنة لأبي بكرﷺ يوم خرج مهاجرًا، فقال له: **إن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج، ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصِلُ الرَّحِم، وتحمِلُ الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**(١٢٥).

والداعية في خدمته للناس ونفعهم يقدم ألوانًا مختلفة من التضحيات، فهو يضحي براحته، وقدوته في ذلك رسول اللهﷺ، فقد ذكر في وصفه أنه ((ليست له راحة))(١٢٦)، ويضحي بماله، فيجعله في خدمة دعوته، ويضحي بوقته، فلا يضيعه في سفاسف الأمور وفيما لا نفع فيه، وإذا كان البخل صفة بشعة في عموم الناس، فهو في الداعية صاحب المروءة أبشع، ولذلك عاب

---

(١٢١) راجع بتوسع: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا: محمود محمد الخزندار، ص ١٥٠ وما بعدها، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١٢٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٣٩/٦، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" ح رقم ١٧٦.

(١٢٣) متفق عليه: البخاري في صحيحه: كتاب التفسير – باب سورة النور ١٨٩٤/٤ ح رقم ٤٦٧٠، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ ١٣٩/١ ح رقم ١٦٠ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٢٤) راجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٤/١، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

(١٢٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٨٣/١٥ رقم ٦٨٦٨.

(١٢٦) صفة الصفوة لابن الجوزي ١٥٧/١، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق: محمود فاخوري، و د. محمد رواس قلعه جي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

العلماء البخل وجعلوه قادحًا في مروءة الإنسان مهما كان صلاحه، ولذلك جاء في ترجمة أبي الأسود الدؤلي أنه «كان ذا عقل ودين ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم، غير أنه كان يُنسَب إلى البخل، وهو داء دويٌّ يقدح في المروءة»(١٢٧).

هذه بعض مظاهر المروءة في حياة الداعية، استخلصتُها من درجات المروءة ومراتبها، وحاولت من خلالها أن أحدد سمات الداعية صاحب المروءة، وبقي أن أبين آثار ذلك وثمراته على المدعوين بمختلف أصنافهم، وهو ما سأتناوله في المطلب الثالث بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثالث: آثار مروءة الداعية وثمراتها

لقد سجل التاريخ مواقف خالدة للمروءة في حياة الدعاة، ومن يقرأ القرآن الكريم ويتصفح السنة النبوية، سيجد فيضًا من المروءات الرائدة، التي كان لها أعظم الأثر في ميدان الدعوة، فهي ترفع مكانة الداعية، فيصبح في أعين الناس كبيرًا، ذلك أنها صفة نفسية كريمة، تنبئ عن صدق إيمان، ونقاء سريرة، وحسن سيرة، ومكارم خلق، وأصالة تربية. وبالمروءة يملك الداعية النفوس، وتنشرح له القلوب، وتتفتح له العقول، وتتفجر في المجتمع طاقات الهداية، وبالمروءة تكون المحبة للداعية قوية، والثقة به عظيمة. وسوف أستعرض – فيما يلي – آثار مروءة الداعية وثمراتها على النحو التالي:

أولاً: تماسك بيت الداعية ومناصرته للدعوة: وأقصد ببيت الداعية: أهله وعشيرته الأقربين، ابتداءً بالوالدين، ومرورًا بأسرته الصغيرة التي تضم الزوجة والأولاد، ووصولا إلى أسرته الكبيرة التي تشمل الأقارب والأرحام، فهم حصن الداعية وسنده بعد الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال أهل مدين لشعيب عليه السلام: ﴿ **مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ** ﴾ [هود: ٩١]، ورهط الرجل: عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم(١٢٨)، وكان في طليعة الأوامر الدعوية للنبي ﷺ: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فجمعهم رسول الله ﷺ وصنع لهم طعامًا، ووعظهم، وكان مما قاله لهم: **(إن الرائدَ لا يكذب أهلَه، والله لو كذبتُ الناسَ جميعًا ما كذبتكم، ولو غررتُ الناسَ جميعًا ما غررتكم)** (١٢٩)، وكان من أوائل

(١٢٧) الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي ٣١١/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام.

(١٢٨) تفسير القرطبي ٢٠١/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(١٢٩) راجع: السيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الحلبي ٤٥٩/١، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الذين أسلموا: زوجه خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، ولما شرعت قريش في المقاطعة العامة للنبيﷺ وأصحابه، انحاز بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم – إلا أبا لهب – وحبسوا في شعب أبي طالب، وتحملوا سنوات الحصار الظالم مع النبيﷺ، فدل ذلك على مدى تماسك عشيرة النبيﷺ الأقربين، وذلك أثر مروءة النبيﷺ معهم وتلطفه بهم، وحرصه عليهم.

وتبدأ مروءة الداعية مع الأهل والأقارب بالوالدين، فحقهما هو أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله، تأمل مروءة خليل الرحمن إبراهيمعليه السلام مع أبيه، وتحببه إليه ومناداته بألطف عبارة وأرق كلمة: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٤٢]، ويكررها في الخطاب لمزيد من الإيناس، وجاءه التهديد والوعيد من أبيه، فما زاد على أن قال: ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي** ﴾[مريم: ٤٧]، ولم يرفع صوتًا، أو ينطق بكلمة لا تليق ومقام الأبوة.

وتعظم الحاجة إلى مروءة الداعية مع زوجه، فهي العون والسند بعد اللهعز وجل، ويتمثل ذلك في حسن المعاملة، والمعاشرة بالمعروف، والنفقة، ونحو ذلك، فقد سئل أحدهم: ما المروءة فيكم؟ قال: أربع خصال: منها: وأن يقوم الرجل لأهله بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره، فإنه من احتاج أهله إلى الناس لم تكن له مروءة (١٣٠).

تحكي عائشة رضي الله عنها موقفًا من مواقف مروءة النبيﷺ معها، تقول: خرجنا للحج، فلما كنتُ بسَرِف حضتُ، فدخل عليَّ رسولُ اللهﷺ وأنا أبكي، فقال: **(مالكِ؟ أنفستِ؟)** قلت: نعم، قال: **(إن هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم، فاقضِ ما يقضي الحاجّ غير أن لا تطوفي بالبيت)**، قالت: فكنتُ حتى نفرنا من مِنى، فدعا عبدَ الرحمن فقال: **(اخرج بأختك الحرم، فلتهل بعمرة، ثم افرغا من طوافكما، أنتظركما ههنا)**، فأتينا في جوف الليل، فقال: **(أفرغتما؟)** قلت: نعم، فنادى بالرحيل في أصحابه، فارتحل الناس (١٣١)، وبتلك المروءة، استطاع النبيﷺ أن يخفف معاناة زوجه، وأن يحتوي المشكلة ويوجد لها حلولاً يسيرة أصبحت تشريعًا فيما بعد.

---

(١٣٠) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٣٨.

(١٣١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحيض – باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ١١٧/١ ح رقم ٢٩٩، ومسلم في صحيحه: كتاب الحج – باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ٨٨١/٢ ح رقم ١٢١٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ويحرص القرآن على بقاء المروءة بين الزوجين في مختلف الأحوال، حتى ولو اختلفا ووصل الأمر إلى الفراق، ففي ثنايا آيات الطلاق يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] منهج قرآني يحافظ على العلاقات ويستبقي المروءة، حتى وإن عصفت بالبيت عاصفة الانفصال، لا سيما إذا كان بين الزوجين أولاد، فالأفضل أن تهيأ لهما حياة هادئة، وأن لا ينسى الزوجان أنهما كانا على حال مودة ورحمة.

ومن أروع ما ذكره التاريخ في المروءة بين الزوجين، ما ذكره ابن كثير وغيره، أن امرأة تقدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الريّ سنة ٢٨٦هـ، فادّعى وليُّها بأن لموكِّلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها)، فأنكر الزوج، فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك، قال: أحضرتهم. فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة، ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي، فقال الزوج: ماذا تفعلون؟ قال الوكيل: ينظرون إلى أمرأتك كي يعرفوها، قال الزوج: إني أُشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفِر عن وجهها، فقالت المرأة: فإني أُشهِد القاضي أني وهبتُ له هذا المهر وأبرأتُ ذمته في الدنيا والآخرة، فقال القاضي وقد أُعجِب بغيرتهما ومروءتهما: يُكتَب هذا في مكارم الأخلاق (١٣٢).

ومن مروءة الداعية مع أولاده: ما فعله إبراهيم عليه السلام حين أتاه الأمر بذبح ولده الذي انتظره طويلاً، وما كان إبراهيم ليتردد في تنفيذ أمر ربه، ولكنه توجه بالأمر إلى ولده قائلا: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فلم يأخذه على غرة لتنفيذ المطلوب، وإنما عرض عليه الأمر تطييبًا لخاطره، وتهيئةً له حتى يأخذ الأمر طاعةً واستسلامًا لا قهرًا وإجبارًا، وتكون ثمرة تلك المروءة: تلقي إسماعيل عليه السلام الأمر باليقين التام، والرضا الكامل، وبنفس النداء الرقيق الذي كان خليل الرحمن ينادي به أباه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢].

وينتقل القرآن من الأسرة الصغيرة إلى أسرة الداعية الكبيرة، فيعرض مشهدًا من مشاهد المروءة النادرة بين يوسف عليه السلام وبين إخوته، الذين خططوا لقتله وإبعاده، ثم دخلوا عليه فقراء معوذين، فقدَّم الإحسان في مقابل إساءاتهم، وعفا عنهم تكرمًا، وصفح مروءةً، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: من الجب، مع كونه أشد بلاءً من السجن، استعمالاً للكرم، لكيلا يُخجل

(١٣٢) القصة ذكرها البيهقي في شعب الإيمان ٤١٣/٧، والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" ٥٣/١٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: د. بشار عواد معروف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

إخوته، بعدما قال لهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢] (١٣٣)، فتأمل أثر تلك المروءة في استلال سخيمة قلوبهم، وإعانتهم على نفوسهم!

ومما سبق يتبين ضرورة اهتمام الداعية بأهل بيته وأقاربه وذوي رحمه، فهم ألصق الناس به، وأقربهم إليه، وهم خط الدفاع الأول عنه ضد خصوم الدعوة، فإذا أحسن معاملتهم وأكرمهم وتحبب إليهم، ظهر أثر ذلك في تماسكهم ومناصرتهم للدعوة، فالإنسان أسير الإحسان والمروءة.

ثانيًا: كسب ثقة المدعوين ونيل احترامهم: فالداعية هو محط أنظار الناس، فهم يتابعون أحواله ويراقبون سلوكه، فإذا رأوه قدوة صالحة، كان جديرًا باحترامهم، وأهلاً لثقتهم وتقديرهم، والناس دائمًا يأسرهم الشيء الجميل، ولا شيء أجمل في عيون الناس من نبل الداعية ومروءته. ولقد كان النبيﷺ يحظى بثقة العدو قبل الصديق، بل إن الكفار ما اعترضوا عليه لخلل في شخصيته، أو انحراف في سلوكه –حاشاهﷺ– ولكن لأسباب نفسية أخرى، كالعناد والجحود والمكابرة، ومعلوم أنه ﷺكان مشهورًا قبل البعثة بالصادق الأمين، ولم يسع الكفار أن ينكروا هذا حتى وهم مناوئون له، فشهدوا له أيضًا بعد البعثة بالصدق والأمانة، وهما أساس المروءة ونبل الأخلاق، وهكذا استطاع النبيﷺ بصدقه وأمانته أن ينال ثقة الجميع، فكان أهل مكة مع معارضتهم له ومعاندتهم لدعوته، لا يشككون أبدًا في نزاهته ومروءته.

وفي قصة نبي الله موسى مع صاحب مدين وابنتيه نموذج فريد للمروءة، فقد وجد امرأتين تحاولان سقي أغنامهما، فبادر إلى المساعدة المتجردة الراقية، ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] سقى لهما، ثم انحاز عنهما، وأوى إلى الظل، فنال بمروءته ثقة البنتين وحظي باحترامهما، ولما عفَّ عن الحرام جاءه الحلال الصافي يطرق بابه، ((والعبرة في سياقة هذا الجزء من القصة المفتتح بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٢٢] إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٨] هو ما تضمنه من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال، وكيف هيأ الله تعالى موسى لتلقي الرسالة بأن قلَّبه في أطوار الفضائل، وأعظمها معاشرة رسول من رسل الله ومصاهرته، وما تتضمنه من خصال

(١٣٣) تفسير البغوي ٤/٢٨٠، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المروءة والفتوة التي استكنت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد والقناعة، وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين))[١٣٤]، وبهذه المروءة نال الثقة وحاز القبول.

وعندما دخل يوسفعليه السلام السجن لم ينس رسالته، ولم يشغله ظلام السجن عن دعوته، واستطاع أن يجمع قلوب الناس بجميل مروءته، ((وفي أيام قليلة لفت الأنظار وأصبح حديث السجن، وقد بدد نوره هذا الظلام المحيط به، هدوء ورزانة، ووقار وسكينة، وذكر وتسبيح، وخلق وتواضع، وعطف وكرم، فاضطر أهل السجن إلى أن يحترموه، وكانوا في ذلك مضطرين، كأن سائقًا يسوقهم إليه، وكان كله من تقدير الله سبحانه وتعالى))[١٣٥]، وحوَّل نبي الله يوسف السجن إلى ميدان دعوة، بحسن خلقه وجميل معاملته، وقيامه بحقوق المسجونين، قال السدي: ((وكان يوسفعليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود، والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم))[١٣٦]، وقال الرازي: ((إنه كان يعود مرضاهم، ويؤنس حزينهم، فقالوا: إنك من المحسنين، أي في حق الشركاء والأصحاب، وقيل: كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة، فقالوا: إنك من المحسنين في أمر الدين، ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الأمور))[١٣٧]، وكان معه في السجن فتيان، أحباه حين شاهداه، ووثقا بعلمه الذي أعطاه الله إياه، قال ابن كثير: ((ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به، وأحباه حبًّا شديدًا، وقالا له: والله لقد أحببناك حبًّا زائدًا))[١٣٨]، وكان تأثرهما بما رأياه من إحسان يوسف ومروءته، وطلبا منه أن يفسر لهما ما رأياه في منامهما ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٦]، وأدرك يوسفعليه السلام فيهما كرم العنصر، والاستعداد لسماع الحق، واستثمر ثقتهما فيه، وحبهما له، وإقبالهما عليه، وحاجتهما إليه، فبدأ يشرح لهما قضية التوحيد.

---

(١٣٤) التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١١٠/٢٠، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، طبعة ١٩٩٧م.

(١٣٥) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة: أبو الحسن الندوي، ص ٣٤، دار القلم، الكويت، بدون تاريخ.

(١٣٦) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير ٣٨٧/٤، دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

(١٣٧) تفسير الرازي ٢٥١٨/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(١٣٨) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٨٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ثالثًا: تهيئة قلوب وعقول المدعوين للاستجابة: وهي مرحلة تالية لسابقتها، مترتبة عليها، فالمدعو إذا وثق في الداعية وتعلق به، أصبح مهيئًا لتلقي ما يقول بالقبول. وللمروءة صور عديدة تسهم في تهيئة المدعوين للاستجابة، منها: البذل والعطاء، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، والأمر بالعُرف يقتضي البذل والعطاء ومساعدة ذوي الضرورات والحاجات، وهو ما يجعلهم يلتفون حول الداعية، ويقبلون عليه بقلوبهم وعقولهم.

في أحيان كثيرة يجد الداعية نفسه أمام مواقف ومشكلات لا حل لها إلا بالبذل والعطاء، وكم من فرص كثيرة تم إهدارها بسبب شح الداعية، وبخله في مثل هذه المواقف، فليفقه الدعاة أنه في سبيل هداية الناس يهون المال ويرخص كل شيء، ولو فهم الداعية ذلك جعل مالَه وكل ما يملك في خدمة الدعوة.

كان خليل الرحمن إبراهيمعليه السلام يكنى بأبي الضيفان، حيث كان مضيافًا كريمًا، وعندما جاءته الملائكة في صورة بشر، قدم نموذجًا رائعًا للكرم والمروءة، ومن الصور المضيئة لمروءة النبيﷺ ما رواه سهلرضي الله عنه أن امرأةً جاءت النبيَّﷺ ببُردة [رداء يُلبَس فوق الثياب، أو كساء مخطط] قالت: نسجتُها بيدي، فجئتُ لأكسوكها، فأخذها النبيﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسَّنها فلان، فقال: اكسُنيها، ما أحسنها! قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبيﷺ محتاجًا إليها، ثم سألتَه وعلمتَ أنه لا يرد، قال: إني والله ما سألتُه لألبسها، وإنما سألتُه لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه(١٣٩)، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

ومن صور المروءة: إغاثة الملهوف، فهي تترك أثرًا كبيرًا في نفس المدعو، وإذا كان الإنسان أسيرَ الإحسان في وقت الرخاء، فما الظن بإغاثة لهفته وتفريج كربته، وتقديم يد العون له في وقت هو أحوج ما يكون إلى ذلك؟! وقد تمثلت تلك المروءة في نبي الله يوسفعليه السلام حين سجن ظلمًا، فلم يتغير معدنه، ولم يتحول إلى مجرم أو ناقم على المجتمع، وقد ظهر ذلك واضحًا عندما طُلب للمساعدة في أزمة اقتصادية متوقعة، فلم يساوم ولم يتردد في المساعدة، واستجاب لطلب الملِك في علاج الأزمة وإنقاذ شعب بأكمله.

وأمثلة ذلك في العصر الحاضر كثيرة، فقد مرت بمصر فترة انتشر فيها قطاع الطرق ليلاً، كانوا يشيرون للسيارات بالوقوف إنقاذًا لأزمة، فإذا وقفت السيارة انقضوا عليها وسلبوا أموال وملابس الراكبين، وفي تلك الفترة كان أحد الدعاة عائدًا إلى القاهرة بعد منتصف الليل، فرأى سيارة على جانب الطريق، ورجلاً يشير بالوقوف، فلم يتردد لحظة، وطلب من مرافقه الذي يقود السيارة أن يتوقف، ونزل بمفرده يسأل الرجل عما يطلب، فأخبره أن بنزين سيارته فرغ، وفي ذلك الوقت لم تكن الكلاكسات

(١٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة – باب من استعد للكفن في زمن النبيﷺ فلم ينكر عليه ٢/٧٨ ح رقم ١٢٧٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

قد انتشرت، بل كان التنبيه بالنفير (وهو بوق معدني ينتهي بقطعة من الكاوتش مفرغة، إذا ضغط عليها أحدثت صوتًا)، فنزع الداعية تلك الجلدة من البوق، وملأها بنزينًا عدة مرات من خزان سيارته، وأفرغها في سيارة الرجل، وكل ذلك والداعية لم يسأل الرجلَ عن اسمه، أو عمله، شأن ذوي المروءة من الرجال، ودهش الرجل من هذه المعاملة النبيلة، فقدَّم نفسَه إلى الداعية قائلاً: أنا فلان، القاضي في محكمة القاهرة، فمن أنت؟ فعرفه الداعية بنفسه، ومن يومها كان هذا القاضي أحد الألسنة الطاهرة التي تدافع عن الدعوة والدعاة (١٤٠).

ومن صور المروءة كذلك: العفو عند المقدرة، فهو يبقي جسور الصلة بين الداعية وبين من يسعى لهدايتهم قائمة صالحة للعبور، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فالعفو عن إساءات المدعوين وإيذاءاتهم يُعبِّد للداعي السبل الوعرة، التي ينبغي أن يسلكها في دعوته، ابتغاء مرضاة ربه، وهذا أمرٌ يرضي اللهﷻ؛ لأنه أكثر تأثيرًا في هداية الناس، بما يملك من قلوبهم ونفوسهم وعواطفهم، وبما يمهد من طرق إلى استجابتهم (١٤١).

ومن ذلك: عفو النبيﷺ عن ثُمامة بن أُثال "أحد ملوك اليمامة"، وقد كان عدوًّا محاربًا للإسلام ولرسول اللهﷺ، وبعث رسول الله خيلا قِبَل نجد، فأسروه وهم لا يعرفون من هو، حتى أتوا به رسول اللهﷺ، فقال: أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره، فربطوه بسارية من سواري المسجد، ورجع رسول اللهﷺ إلى أهله، فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته (أي: بناقته الحلوب ذات اللبن) أن يُغدى عليه بها ويُراح، لتُحلَب له، ويُسقى من لبنها، فخرج إليه النبيﷺ فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعِم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسَل منه ما شئت، فتركه الرسولﷺ، حتى كان الغد فمرَّ به، وسأله نفس السؤال، وأجاب ثمامة بنفس الجواب، وتكرر ذلك ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث قال رسول اللهﷺ: أطلقوا ثمامة، فأطلقوه، فانطلق إلى نخلٍ قريب، من المسجد فيه ماء، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والله يا محمد ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وقدم مكة للعمرة فقال

(١٤٠) راجع: الدعوة بين المفهوم والتطبيق: طارق مرزوق، ص ١٢٩، مكتبة النجاح، بني سويف، بدون تاريخ.
(١٤١) فقه الدعوة للميداني ١٢٤/٢ وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

لمشركيها: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول اللهﷺ(١٤٢). وهكذا كان لإكرام ثمامة بن أثال وحسن معاملته أعظم الأثر في انتزاع ما في قلبه من بغض وكراهية للإسلام ولرسوله، واستحال كل ذلك حبًّا وولاءً ومناصرةً للإسلام والمسلمين.

رابعًا: تحييد المعاندين وتجنب عداوتهم والصدام معهم: فالثمرة المتوقعة من المدعو حيال مروءة الداعية هي الاستجابة، فإن لم تتحقق الاستجابة فلا أقل من تحييده وتجنب عداوته والصدام معه، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤]، أي: ادفع بحلمك جهلَ من جهل عليك، وبعفوك عمن أساءَ إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه وليٌّ حميم»(١٤٣)، وهو ليس خضوع استجابة، ولكنه خضوع خجل وحياء بسبب صبر الدعاة عليهم، ومقابلة إساءاتهم بالإحسان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٥]، وأحسبهم أصحاب المروءات.

جاء في الصحيحين عن جابرﷺ أنه غزا مع النبيﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول اللهﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة [وقت الظهيرة] في وادٍ كثير الشجر، فنزل رسول الله تحت شجرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول اللهﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: (**إن هذا اخترط سيفي** [أي: سَلَّه من غِمده] **وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صَلْتًا** [أي: مجردًا جاهزًا للضرب به]، **قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله (ثلاثًا)، فها هو ذا جالس)**، ثم لم يعاقبه رسول اللهﷺ(١٤٤). وجاء في رواية أخرى: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول اللهﷺ السيف، فقال للأعرابي: (**من يمنعك مني؟**) قال: كن خير آخذ، فقال:

---

(١٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي – باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ١٥٨٩/٤ ح رقم ٤١١٤، ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير – باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ١٣٨٦/٣ ح رقم ١٧٦٤ من حديث أبي هريرةﷺ.

(١٤٣) تفسير الطبري ٤٧١/٢١.

(١٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي – باب غزوة ذات الرقاع ١٥١٥/٤ ح رقم ٣٩٠٦، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل – باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس ١٧٨٤/٤ ح رقم ٨٤٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

(تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟) قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فخلَّى سبيله، فأتى الرجل أصحابه فقال لهم: جئتكم من عند خير الناس (١٤٥).

لقد غمر رسول اللهﷺ الأعرابي بكرمه وعفوه ومروءته، وكان بإمكانه أن يقتله بلا حرج، فالأعرابي هو من بدأ، وهو من جاء ليقتل النبيﷺ غدرًا، ولكن النبيﷺ آثر العفو، وفي مقابل تلك المروءة طمع في إسلامه، ولكن الأعرابي رفض الدخول في الإسلام، وعاهد رسول اللهﷺ أن لا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فقبل منه النبيﷺ وخلى سبيله.

المبحث الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في التعامل مع ذوي المروءات

ليست المروءة حكرًا على الدعاة والمصلحين، فهي صفة أصيلة في بعض الناس، سواء فطروا عليها أو اكتسبوها من البيئة التي نشأوا فيها، وسواء كانوا دعاة أو مدعوين، فهي قيمة منتشرة بين مختلف الشرائح، ويتمسك بها من يعرف قدرها، وهو قول يوسف بن أسباط: «رأيتُ فساقًا كانوا على مروءاتهم أشد إبقاءً من قراء هذا الزمان على أديانهم» (١٤٦)، ومن هنا كان واجب الدعاة أن يبحثوا عن ذوي المروءات من الناس، وإذا وجدوهم أن يتمسكوا بهم، ويحرصوا على استخراج الخير الكامن في نفوسهم، ومعلوم أن "الدعوة الفردية" تقوم على أسس عدة، من أهمها: حسن الاختيار، ذلك أن حسن اختيار من تدعوه في البداية يساعدك على النجاح والوصول إلى هدفك، واعلم أن حسن الانتهاء من صفاء الابتداء، ومن صحت بدايته صحت نهايته، فينبغي على الداعية أن يعرف مفتاح الشخصيات ويدرسها جيدًا قبل اختيارها، ويعرف طباعها وأخلاقها وميولها واهتماماتها ليعرف طريقة توظيفها في الدعوة، «ومن هنا قسم الدعاة الشخصيات إلى ثلاث: **الأول: صاحب أخلاق إسلامية:** وهو الذي يؤدي العبادات في المساجد، ويتجنب المحرمات، ويرعى حق الله ويراقبه ويخشاه، ويحترم شعائر الدين ويجلُّها. **والثاني: صاحب أخلاق أساسية:** وهو شخص غير ملتزم بالطاعات كلها، لكنه لا يجهر بمعصية، وهو اجتماعي فيه رجولة وشهامة ومروءة وأصالة. **والثالث: صاحب أخلاق جاهلية:** وهو شخص لا يراعي لأحد حرمة، ويتجنبه الناس لسوء خلقه ومعاملته. وما من شك في أن الصنف الأول هو الأقرب للدعوة، والذي يليه في الترتيب (أصحاب الأخلاق الأساسية)، فالطريق إليه أصعب قليلا من الأول، لكن غالبًا ما تكون تلك النتائج طيبة إذا بذل الجهد المطلوب معه، ويأتي الصنف الثالث بعد ذلك (صاحب

---

(١٤٥) رواه أحمد في مسنده ١٩٣/٢٣ ح رقم ١٤٩٢٩، وابن حبان في صحيحه ١٣٩/٧ ح رقم ٢٨٨٣، وقال الحاكم في "المستدرك" ٣٠/٣ ح رقم ٤٣٢٢: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٤٦) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٢٣٨/٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الأخلاق الجاهلية) فهو يحتاج إلى وقت طويل وعناءٍ كبير، وقد لا تكون النتائج معه مرضية» (١٤٧). وتأتي المروءة على رأس الأخلاق الأساسية، فهي أساس لكثير من الفضائل، فإذا وَجد الداعيةُ ذا مروءة فليتمسك به، ففي استجابته مكسب كبير.

والمتأمل في سنة النبيﷺ وسيرته وفي تجارب الدعاة قديمًا وحديثًا، وفي أدبيات الدعوة، سيجد منهجًا متكاملا في التعامل مع ذوي المروءات، يمكن الاستفادة منه في واقع الدعوة المعاصر، وسوف تتضح معالم هذا المنهج وقواعده وخطواته من خلال السؤال التالي: **كيف يمكن التعامل مع ذوي المروءات بحيث يتحقق الاستيعاب الدعوي والتوظيف الأمثل لهم؟** وسوف تتضح الإجابة على هذا السؤال من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: إكرامهم وتوقيرهم ورفع شأنهم

إن أصحاب المروءات ليسوا كغيرهم من عامة الناس، بل هم أناس نذروا أنفسهم لمحاسن الأخلاق وجميل العادات، وهو أمرٌ ليس باليسير، وقومٌ بذلوا مُهَجهم لتحقيق الكمالات البشرية أو الاقتراب منها، ينبغي إكرامهم ويتوجب احترامهم وتوقيرهم. تحت عنوان "ذو المروءة حقيقٌ بالإجلال" يقول الشيخ محمد الخضر حسين: «إذا نظرنا في تفاصل الأخلاق والآداب التي تقوم المروءة على رعايتها، وجدناها تبعث على إجلال صاحبها، وامتلاء الأعين بمهابته» (١٤٨)، ومن الحكم السائرة: «ذو المروءة يكرم وإن كان معدمًا، كالأسد يهاب وإن كان رابضًا، ومن لا مروءة له يهان وإن كان موسرًا، كالكلب يهان وإن طُوِّق وحُلِّي بالذهب» (١٤٩).

لما قدم وفد عبد القيس على رسول اللهﷺ، اشتد فرحه بهم، يقولون: فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا، فقعدنا، فرحب بنا النبيﷺ ودعا لنا، وسأل النبيﷺ عن بلادهم، وسمى لهم قرًى عندهم، فقال سيدهم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لأنت أعلم بأسماء قُرَانَا منا، ثم أقبل ﷺ على الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم، فإنهم أَشباهُكم فِي الإسلام، أَسلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِين، ولا مَوْتورين، فلما أصبحوا قَال: كيف رأيتم كرامةَ إخوانِكُمْ لكم، وَضِيَافَتَهُم إياكم؟ قالوا: خَيْرَ إِخْوَان،

(١٤٧) الدعوة بين المفهوم والتطبيق: طارق مرزوق، ص ١١٠ وما بعدها.
(١٤٨) رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، ص ١٥، ١٦.
(١٤٩) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٤٨/١.

جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

أَلانُوا فَرْشَنَا، وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كِتَابَ ربنا وسُنة نَبِيّنا، فَأُعْجِب النبيﷺ، وَفَرِحَ بِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلا رَجُلا يَعْرِضُنَا عَلَى مَا تَعَلَّمْنَا وَعَلِمْنَا (١٥٠).

لقد لمس النبيﷺ فيهم عقلا قادهم إلى الإسلام طائعين غير مكرهين ولا مضطربين، الأمر الذي دعاه إلى إكبار ذلك فيهم، وبالتالي إكرامهم والاهتمام بشأنهم، والوصاية بهم، وندب من يعلمهم، بل وتعليمهم بنفسه.

وكان الحصين بن منذر الخزاعي (والد عمران بن الحصين) ذا عقل ومروءة، ولقد أرادت قريش أن تثني النبيﷺ عن دعوته بكل طريق ممكنة، ومنها: أن ترسل إليه شيوخ العرب وكبارهم وأهل الاحترام والمكانة فيهم، وممن اختارتهم قريش لتلك المهمة: الحصين، حيث قالت – وهي تعظمه وترفع شأنه –: كلِّم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبيﷺ، فرحب بهم النبيﷺ، وقال لأصحابه: **أوسِعوا للشيخ**، وهي جملة فيها توقير وإجلال لهذا القادم، وتجعله يدرك أنه أمام داعية يعرف قدر الرجال وينزلهم منازلهم.

قال الحصين: ما هذا الذي بلغَنَا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم؟ فأجابه النبيﷺ بسؤال، قال: **يا حصين، كم تعبد من إله؟** قال: سبعًا في الأرض وواحدًا في السماء، قال: **فإذا أصابك الضر من تدعو؟** قال: الذي في السماء، قال: **فإذا هلك المال من تدعو؟** قال: الذي في السماء، قال: **فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟ يا حصين، أسلم تسلم**، قال: إن لي قومًا وعشيرة، فماذا أقول؟ قال: **قل: اللهم إني أستهديك لأرشد أمري وزدني علمًا ينفعني**، فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، وأراد الحصين أن يخرج فقال النبيﷺ لأصحابه: **قوموا فشيعوه إلى منزله** (١٥١).

لقد لمس النبيﷺ رجاحة عقل الحصين ومروءته، فأحسن استقباله، وطرح عليه عدة أسئلة مرتبة ترتيبًا ذهنيًّا ونفسيًّا بحيث تصل به إلى إدراك الحقيقة ومعرفة الصواب، وكانت هذه الأسئلة كفيلة بأن تضع الأمور في نصابها، وتأخذ بعقل الحصين وقلبه إلى الإسلام، وكما أحسن النبيﷺ استقباله أحسن توديعه، حين أمر أصحابه أن يشيعوه إلى منزله، احتفاءً به، وإعلاءً لمنزلته، وإكرامًا لسِنّه، وتقديرًا لمروءته.

---

(١٥٠) رواه أحمد في مسنده ٢٠٦/٤ ح رقم ١٧٩٨٥، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٢٤/٨): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(١٥١) القصة أوردها ابن حجر في "الإصابة" ٢/ ٨٧، وعزاها إلى ابن خزيمة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

وكان عدي بن حاتم رئيسًا في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، ولما بلغته دعوة النبيﷺ فرَّ إلى الشام، يقول: ((فكنتُ امرأً شريفًا، وكنتُ في نفسي إلى دين))، إشارةً إلى تدينه ومروءته، وأُسِرَت أخته، وقُدِم بها على رسول اللهﷺ في سبايا من طيء، فمرَّ بها رسول اللهﷺ، فقامت إليه فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد [أي: الذي يَفِدُ عليَّ من حينٍ لآخر]، فامنُن عليَّ مَنَّ اللهُ عليك، قال: **مَن وافِدُكِ؟** قالت: عدي بن حاتم، قال: **الفارّ من الله ورسوله!** قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان الغد مرَّ بي، فقلتُ له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، وتكرر ذلك في اليوم الثالث، فقالﷺ: **قد فعلتُ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومكِ مَن يكون لكِ ثقة، حتى يبلغكِ إلى بلادكِ، ثم آذنيني**. تقول: فجئتُ رسولَ اللهﷺ فقلتُ: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول اللهﷺ وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجتُ معهم حتى أتيتُ أخي بالشام، فرغَّبتُه في الإسلام، وفي القدوم على رسول اللهﷺ. يقول عدي: قلتُ: والله إن هذا لرأي، فخرجتُ حتى أقدم على رسول اللهﷺ المدينة، فدخلتُ عليه وهو في مسجده، فسلمتُ عليه، فقال: **مَن الرجل؟** فقلتُ: عدي بن حاتم، فقام رسول اللهﷺ فانطلق بي إلى بيته، حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادةً من أدَم محشوَّة ليفًا، فقذفها إليّ، فقال: اجلس على هذه، وجلس رسول اللهﷺ بالأرض، وعرض النبيﷺ عليه الإسلام، يقول: فأسلمتُ، فرأيتُ وجهه استبشر (١٥٢). والمتأمل في إكرام النبيﷺ لعدي بن حاتم وأخته وحسن استقباله لهما، واهتمامهما بشأنهما، يتأكد له ضرورة احترام ذوي المروءات والهيئات، ورفع شأنهم وإنزالهم منازلهم، ووضعهم في المكانة التي تليق بهم.

وكان وائل بن حُجْر أحد أقيال حضرموت (١٥٣)، وكان أبوه من ملوكهم، هداه الله إلى الإسلام، فترك الملك، وخرج قاصدًا رسولَ اللهﷺ، يقول: أتيتُ المدينة، وأتيتُ المسجد، فلما رآني رسول اللهﷺ أدناني، وبسط لي رداءَه، فجلستُ عليه، ثم

---

(١٥٢) رواه ابن إسحاق في السيرة ٢/٦٥٠ وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٥/٦٣، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

(١٥٣) الأقيال: ملوك اليمن دون الملك الأعظم، وواحدهم: قَيْل. راجع: طبقات فقهاء اليمن: عمر الجعدي، ص ٢٧، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: فؤاد سيد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

صعد المنبر، وأقامني دونه، ثم قال: (**أيها الناس، هذا وائل بن حُجْر، أتاكم من بلادٍ بعيدة، من بلاد حضرموت، طائعًا غيرَ مكره، راغبا في الله ورسوله وفي دينه، بقية أبناء الملوك، بارك الله فيك يا وائل وفي ولدِك**)، ثم نزل وأنزلني معه (١٥٤).

وهكذا كان رسول اللهﷺ يعرف أقدار الرجال من ذوي المروءات والهيئات، ويقربهم ويدنيهم، ويُظهر لهم الود والاحترام، وكان لذلك أطيب الأثر في نفوسهم.

المطلب الثاني: الوفاء لهم وحفظ صنيعهم

وهو أقل ما يجب تقديمه لذوي المروءات، قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وشكر الناس دليل على شكر اللهﷻ، قالﷺ: (**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**)(١٥٥)، وقال أيضًا: (**بينما رجلٌ يمشي بطريق، وجد غصن شوكٍ على الطريق فأخَّره، فشكر الله له فغَفَر له**)(١٥٦)، فهو رجلٌ ذو مروءة حركه حب الخير، إذ وجد غصن شوكٍ على الطريق يؤذي المارة، فأخَّرَه دون تردد، ولم يحركه حب الثناء، إذ لن يراه أحد من مرتادي الطريق التي أزال غصن الشوك عنها ليشكره، فجاءه الشكر والقبول والمغفرة من اللهﷻ، حفظًا لصنيعه وتقديرًا لمروءته.

ومن الوفاء لذوي المروءات: ما فعله خليل الرحمن إبراهيمعليه السلام مع زوجه سارة، فقد آثرته وزوَّجته هاجر، ولما رزق بالولد من هاجر، غارت سارة، فلم ينس لها فضلها ومروءتها، وأخذ هاجر وولدها إسماعيل، وذهب بهما بعيدًا عند المسجد الحرام، فكان في ذلك الخير العميم ببركة مروءة سارة، ووفاء إبراهيم لها.

ومن الوفاء لذوي المروءات: ما فعله يوسف الصديقعليه السلام، عندما تهيأت له امرأة العزيز ودعته إلى نفسها، فتأبى على الفاحشة وقال: ﴿ **مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] يقصد: إن صاحبكِ وزوجكِ

---

(١٥٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير ٢٨٤/٢ رقم ١١٧٦، والبزار في مسنده ١٤٦/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٤/٩): رواه الطبراني من طريق ميمونة بنت حجر، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات.

(١٥٥) رواه أحمد في مسنده ٣٢٢/١٣ ح رقم ٧٩٣٩، والبخاري في "الأدب المفرد" ص ٨٥، ح رقم ٢١٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٠/٨، ح رقم ١٣٦٣٤): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

(١٥٦) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم – باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به ٨٧٤/٢ ح رقم ٢٣٤٠، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ٢٠٢٠/٤ ح رقم ١٩١٤ من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

سيدي، أحسن منزلتي وآواني وأكرمني وائتمنني على بيته وأهله، فلا أخونه وأقابله بالفاحشة في أهله (١٥٧)، وهذا من مروءة يوسفعليه السلام وطيب معدنه، فرغم قسوة المحنة التي كان يعيشها لم ينس أبدًا أن زوج هذه المرأة هو من أكرم مثواه، فكان لزامًا أن يقابل مروءته بالوفاء وحفظ الصنيع.

ولما قفل رسول اللهﷺ راجعًا من الطائف، سار حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال سهيل: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي، فقال المطعم: نعم، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه، فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرتُ محمدًا(١٥٨)، كما كان المطعم من الذين سعوا في نقض الصحيفة التي علقتها قريش على الكعبة، وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب لأنهم نصروا النبيﷺ، ولم ينسها رسول اللهﷺ، فقد حفظ للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر من المشركين: **(لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم)** (١٥٩).

وتحكي أم سلمة رضي الله عنها قصة هجرتها، بعد أن فُرِّق بينها وبين زوجها، وتخلفت عنه في مكة سنة أو قريبًا منها، تقول: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذتُ ابني، فوضعتُه في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ من خلق الله، قالت: فقلتُ: أتبلَّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنتُ بالتنعيم (١٦٠) لقيتُ عثمان بن طلحة، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: والله مالكِ من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي، يهوي بي، فوالله ما صحبتُ رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عنه إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري، فقدمه، فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى، فأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع

(١٥٧) راجع: تفسير الطبري ٣٢/١٢، ٣٣.

(١٥٨) راجع: سيرة ابن هشام ٣٨١/١ مختصرًا، وزاد المعاد لابن القيم ٣٣/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(١٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي – باب شهود الملائكة بدرًا ١٤٧٥/٤ ح رقم ٣٧٩٩.

(١٦٠) التنعيم: وادٍ خارج الحرم من الشمال، في محاذاة الطريق العام المتجه إلى المدينة. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: عاتق بن غيث البلادي، ص ٦٥، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

ذلك بي، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء قال: زوجكِ في هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلا بها، ثم انصرف راجعًا إلى مكة (١٦١).

لقد كان عثمان بن طلحة كافرًا (وأسلم قبل الفتح)، ومع ذلك تشهد له أم سلمة بكرم الصحبة، وكمال المروءة، «فقد أبَت عليه مروءته وخلقه العربي الأصيل أن يدَع امرأةً شريفة تسير وحدها في هذه الصحراء الموحشة، وإن كانت على غير دينه، وهو يعلم أنها بهجرتها تراغمه وأمثاله من كفار قريش!» (١٦٢)، ومرت سنوات المحنة، وجاء فتح مكة، فنادى رسول اللهﷺ على عثمان بن طلحة، فجاء ومعه مفتاح الكعبة، فقال له رسول اللهﷺ: **(هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر)** (١٦٣)، وهكذا كان رسول اللهﷺ وفيًّا لذوي المروءات، يعرف لهم فضلهم، ويحفظ صنيعهم.

ومن الوفاء لأصحاب المروءات: أن يعانوا على مروءاتهم بالمال إن احتاجوا إليه، فقد كان لعثمان بن عفان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألف درهم، فخرج عثمان إلى المسجد، فلقيه طلحة، فقال له: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد، معونةً على مروءتك (١٦٤).

ومن روعة الإسلام أنه خصص مصرفًا من مصارف الزكاة لإعانة ذوي المروءات، وهو مصرف "الغارمين"، والغارمون: جمع غارم، وهو الذي عليه دَيْن، سواء كان غارمًا لمصلحة نفسه، أو لمصلحة غيره، والغارمون لمصلحة الغير: هم فئة من ذوي المروءة وأصحاب المكرمات، والقلوب الكبيرة، والهمم العالية، يغرمون لإصلاح ذات البين، وذلك «بأن يقع بين جماعة عظيمة كقبيلتين أو أهل قريتين تشاجر في دماء وأموال، ويحدث بسببها الشحناء والعداوة، فيتوسط الرجل بالصلح بينهما، ويلتزم في ذمته مالا عوضًا عما بينهم ليطفئ الثائرة، فهذا قد أتى معروفًا عظيمًا، فكان من المعروف حمله عنه من الصدقة، لئلا يجحف ذلك بسادات القوم المصلحين، أو يوهن عزائمهم، فجاء الشرع بإباحة المسألة فيها، وجعل لهم نصيبًا من الصدقة»(١٦٥)، وهذا

(١٦١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٣١٦/٢.
(١٦٢) راجع: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد أبو شهبة ٤٦١/١، دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
(١٦٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٧٤/٥.
(١٦٤) راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧٣/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤١٥هـ. تحقيق: عبد الله القاضي.
(١٦٥) الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع للبهوتي ١٥٣/١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: سعيد محمد اللحام.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

من الوفاء وحفظ الصنيع لذوي المروءات من الغارمين، بأن يأخذوا من مصرف "الغارمين لمصلحة المجتمع"، عونًا لهم على الاستمرار في الدور النبيل الذي يقومون به، ولو كان هذا الإصلاح بين جماعتين من أهل الذمة، كما صرح بذلك العلماء (١٦٦).

وألحق القرطبي بالغارمين لمصلحة الغير: كل من يقوم من أهل الخير في عمل مشروع اجتماعي نافع، يقول رحمه الله: ((ويجوز للمتحمل في صلاحٍ وبِرّ أن يعطى من الصدقة ما يؤدي ما تحمل به إذا وجب عليه وإن كان غنيًّا، إذا كان ذلك يجحف بماله كالغريم))(١٦٧)، فيعطى من استدان لأجل هذه الخدمات النافعة من أموال الزكاة ما يسدُّ به دَيْنَه، وإن كان غنيًّا، وهو ما نص عليه بعض فقهاء الشافعية، ((فقد ذهبوا إلى أن من استدان لعمارة أو فك أسير أو قِرى ضيف ونحوه يُعطى مع الغنى إذا كان غناه بملك العقار لا بالنقد))(١٦٨)، وقال الرملي: ((على أنه لو قيل: لا أثر لغِنَاه بالنقد أيضًا حَملاً على هذه المكرمة العام نفعها لم يكن بعيدًا))(١٦٩)، وفي الحديث عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأتيتُ رسولَ اللهﷺ أسألُهُ فيها، فقال: **(أقِمْ حتَّى تَأْتِيَنا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لكَ بها، قال: ثُمَّ قال: يا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحَدِ ثَلاثَة: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ..)**(١٧٠)، أي: يكُفُّ عن السؤال، والحَمَالة (بفتح الحاء): ما يتحمله الإنسان ويلتزمه في ذمته ليدفعه في إصلاح ذات البين.

وهذا من وفاء الشريعة الإسلامية لأصحاب المروءات، فهو إعانة لهم وتحفيز لئلا يتوقفوا عن فعل المعروف، أو تقصر هممهم عنه، فليس من المروءة التخلي عنهم وقد غرموا أموالهم، وبذلوا أوقاتهم وجهدهم، ولما كانت خدمتهم لتحقيق الخير العام للمجتمع، كان من حقهم أن يُعانوا من المال العام له، وإذا كان الغارم لمصلحة نفسه يعان من أموال الزكاة، فهؤلاء أولى بالمعونة وأجدر، وإذا كان الغارم لمصلحة نفسه لا يعطى إلا مع الحاجة، فالغارمون لمصلحة المجتمع يُعطَون ولو مع الغنى.

---

(١٦٦) راجع: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى السيوطي الرحيباني ١٤٣/٢، المكتب الإسلامي، دمشق، طبعة ١٩٦١م.
(١٦٧) تفسير القرطبي ٢٧٠/١٠، ٢٧١.
(١٦٨) راجع: روضة الطالبين للإمام النووي ٣١٩/٢، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
(١٦٩) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي ١٥٨/٦، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(١٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة – باب من تحل له المسألة ٧٢٢/٢ ح رقم ١٠٤٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المطلب الثالث: الاستفادة من طيب معدنهم وكمال عقولهم

أهل المروءة هم أطيب الناس معدنًا، وأكملهم عقلا، وبالتالي فهم جديرون باهتمام الدعاة وعنايتهم، سئل النبيﷺ: من أكرم الناس؟ قال: **(أتقاهم لله)** قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **(فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله)**، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **(فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)**(١٧١)، قال النووي: ((معناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا أو فقهوا فهم خيار الناس))(١٧٢)، وفي رواية: **(تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا)**(١٧٣)، قال الحافظ في الفتح: ((تجدون الناس معادن، أي: أصولا مختلفة، والمعادن: جمع معدن، وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارةً يكون نفيسًا، وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس، وقوله: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام) وجه التشبيه: أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى فيه، ولا تتغير صفته، فكذلك صفة الشرف، لا تتغير في ذاتها، بل مَن كان شريفًا في الجاهلية، فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس، فإن أسلم استمر شرفه، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية))(١٧٤)، فهم أصحاب أخلاق أساسية كانت متأصلة فيهم قبل الإسلام، كانوا بها خيرة الناس، ودخل الإسلام قلوبهم فزادت تلك الأخلاق أصالة وجمالا وبهاءً، فهم خيار الناس قبل الإسلام وبعده، وإنما كانت بداية الدعوة وانطلاقتها من العرب؛ لأنهم أصحاب مروءة وفتوة، وكرم وحمية، ولذلك لما فقهوا دين الله وانشرحت له صدورهم، تفجرت فيهم ينابيع الخير، وانطلقوا بالإسلام فاتحين، وبمروءاتهم مؤثّرين.

---

(١٧١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥] ٣/١٢٢٤ ح رقم ٣١٧٥، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل – باب فضائل يوسفعليه السلام ٤/١٨٤٦ ح رقم ٢٣٧٨ من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

(١٧٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١١٢.

(١٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب – باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ١٣] ٣/١٢٨٨ ح رقم ٣٣٠٤، ومسلم في صحيحه: كتاب باب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم –٤ باب خيار الناس ٤/١٩٥٨ ح رقم ٢٥٢٦ من حديث أبي هريرةرضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(١٧٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦/٥٢٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

لقد كان رسول اللهﷺ يعرف معادن الناس، ولأجل ذلك دعا ربه أن يعز الإسلام بعمر بن الخطابرضي الله عنه فقال: **(اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب)** (١٧٥)، وأشاد بعقل خالد بن الوليدرضي الله عنه، فقد وصلت رسالة لخالد من أخيه يقول له: قد سألني عنك رسول اللهﷺ، وقال: أين خالد؟ فقلتُ: يأتي به الله، فقال: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو جعل جدّه مع المسلمين كان خيرًا له. يقول خالد: فلما جاء كتاب أخي نشطتُ للخروج، وزادني رغبة في الإسلام وسرَّني سؤال رسول اللهﷺ عني، وعندما أسلم قال رسول اللهﷺ: **(الحمد لله الذي هَدَاك، قد كنتُ أرى لك عقلاً، رجوتُ أن لا يسلمك إلا إلى خير)** (١٧٦)، وهكذا استفاد رسول اللهﷺ من عقل خالد ومروءته وهمته ومعدنه الطيب الأصيل، وظهر ذلك عندما أسلم خالد وأبلى بلاءً حسنًا، وأقسم أن لا يترك موضعًا حارب فيه الإسلام وآذى المسلمين، إلا ويحارب فيه أعداء الإسلام، وفي دعاء النبيﷺ لعمر، وسؤاله عن خالد، ما يدل على أنه كان مشغولاً بذوي المروءات، حريصًا على إسلامهم، يقينًا منه ﷺ أن في إسلامهم خير كبير.

من لم يرتدع بالدين خوطب بالمروءة: فصاحب المروءة له عقل يدفعه إلى مكارم الأخلاق، ويردعه عن رذائلها، وهو بذلك أقرب الناس إلى الاستجابة، فإذا جمع مع المروءة الدين، كان أكثر الناس عطاءً وأعظمهم خيرًا، قال ابن سمعون: ((رأيتُ المعاصي نذالةً، فتركتُها مروءةً، فاستحالت ديانة))(١٧٧).

ألا فليفقه الدعاة طبيعة ذوي المروءات، ويتعلموا كيف يستفيدوا من مروءتهم ويحسنوا توظيفها، فهي تقود إلى الخير لا محالة، قال أحد الحكماء: ((المروءة ترك معصية الله حياءً من الله، والمحافظة على طاعة الله لوجه الله، والفرار من غير الله))(١٧٨)، وهي درع حصين بعد الدين، فهي تأتي في المرتبة التالية بعد أوامر الدين وتوجيهاته، وتعمل جنبًا إلى جنب مع الدين في تهذيب السلوك، وحماية المجتمع من السقوط، وهو ما أشار إليه الإمام الشعبي بقوله: ((تعايش الناس زمانًا بالدين حتى ذهب الدين، وتعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة، وسيتعايشون بالجهالة زمانًا

(١٧٥) رواه الحاكم في المستدرك ٨٣/٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(١٧٦) رواه البيهقي في "دلائل النبوة" ٤/ ٣٥١، والمتقي الهندي في "كنز العمال" ٣٧٤/١٣.
(١٧٧) المروءة لأبي بكر بن المرزبان ص ١١٠.
(١٧٨) المصدر نفسه، ص ١١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

طويلاً»(١٧٩)، وهكذا يأتي سلطان المروءة وتأثيرها في المرتبة التالية بعد سلطان الدين وتأثيره في توجيه أخلاقيات الناس وسلوكياتهم، وهو ما علمنا إياه الداعية المعلم والرسول المتممﷺ عندما جاءه غلام شاب يستأذنه في الزنا، فصاح الناس به فزجروه، فقال النبيﷺ: **قرّبوه، ادنُ**، فدَنَا حتى جلس بين يديه، فقال النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ: **أتحبُّه لأُمِّك؟** فقال: لا، جعلني اللهُ فداك، قال: **كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لأمَّهاتِهم، أتحبُّه لابنتِك؟** قال: لا، جعلني اللهُ فداك قال: **كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لبناتِهم، أتحبُّه لأختِك؟** وذكر العمَّةَ والخالة، وهو يقولُ في كلِّ واحد: لا، جعلني اللهُ فداك، وهو ﷺ يقول: **كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه، فوضع رسولُ اللهﷺ يدَه على صدرِه وقال: (اللهمَّ طهِّرْ قلبَه واغفر ذنبَه وحصِّنْ فَرْجَه)** فلم يكن شيءٌ أبغضَ إليه منه (١٨٠). لقد جاء الشاب إلى النبيﷺ وهو لا يجهل حرمة الزنا ونكارته، لكنه ضعيف أمام شهوته، فأخذ النبيﷺ يستنطق مروءته، ويوقظ نخوته برفقٍ ولين، حتى خضعت له نفسه، وهدأت شهوته، فأضحى الزنا أبغض شيءٍ إلى قلبه، وهو أسلوب نبوي حكيم في دعوة ذوي المروءات، والاستفادة من طيب معدنهم، وكمال عقولهم.

المطلب الرابع: إقالة عثراتهم والعفو عن زلاتهم

لقد عدَّ ابنُ القيم – رحمه الله – من أنواع المروءة وصورها ما يسمى بـ "مروءة الترك"، وقصد بها: «ترك الخصام والمعاتبة والمطالبة والمماراة، والإغضاء عن عيب ما يأخذه من حقك، وترك الاستقصاء في طلبه، والتغافل عن عثرات الناس وإشعارهم أنك لا تعلم لأحدٍ منهم عثرة» (١٨١)، وهذا للناس عامة، فما بالك بوجهاء الناس وذوي الهيئات وأصحاب المروءات إذا تعرض أحدهم لأزمة، أو وقع في زلة؟! الواجب حينئذ على الداعية أن يقيل عثرته، ويحفظ هيبته، ذلك أن «العفو عن الزلات التي تصدر من الناس من محاسن الشريعة الإسلامية، لا سيما إذا كان مَن صدرت منه معروفًا بين الناس بالفضل والخير، فمثل هذا يكون الستر في حقه أولى، حتى لا يذهب خيرهم في الناس، وحتى لا تنعدم قدوتهم بين الناس» (١٨٢)، وهو هدي نبوي رائع

(١٧٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني ٣١٢/٤.

(١٨٠) رواه أحمد في مسنده ٢٥٦/٥ ح رقم ٢٢٥٦٤، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٦٢/٨ ح رقم ٧٦٧٩، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٤١/١): رجاله رجال الصحيح.

(١٨١) مدارج السالكين ٣٥٢/٢، ٣٥٣.

(١٨٢) الموسوعة الحديثية: موقع الدرر السنية، تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/١١/٢٣م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

يحفظ لأهل المروءة قدرهم، قالﷺ: **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)**(١٨٣)، وقولهﷺ: (أقيلوا) أمرٌ من الإقالة، أي: اعفوا عن (ذوي الهيئات) أي: أصحاب المروءات والخصال الحميدة والأخلاق المرضية، ممن لم يظهر منه ريبة، وقيل: ذوو الوجوه بين الناس، ممن لليس معروفًا بالفساد، قال الشافعي – رحمه الله –:«وذوو الهيئات الذين يقالون عثراتهم: الذين ليسوا يعرفون بالشر، فيزل أحدهم الزلة» (١٨٤)، وقوله: (عثراتهم) أي: زلاتهم وسقطاتهم وما يصدر عنهم من الخطايا، وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت، (إلا الحدود) أي: إلا أن يكون حدًّا من حدود الله، فإنه يتعين استيفاؤه من الشريف، كما يتعين أخذه من الوضيع، فإن النبيﷺ قال: **(إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُم، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)** (١٨٥)، وهذا بابٌ عظيم من أبواب محاسن الشريعة، فإن الإنسان الذي يُعلَم من غالب أحواله الاستقامة والخير إن زل – ما لم يكن حدًّا من حدود الله – تغاضوا عنه، ولا تأخذوه به؛ لأن الغالب عليه الخير(١٨٦)، ورجح الإمام الطحاوي أن يكون المراد بالأمر بالعفو عن ذوي الهيئات، إذ كانت ليست لهم خُلُقًا ولا عادة، وإنما كانت لهم هفوة، فكان الأحسن بهم الصفح عنها لهم(١٨٧)، إكرامًا لسابقتهم وحسن سيرتهم.

رُفِع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطابﷺ رجلٌ في جرمٍ اقترفه، فأراد أن يعاقبه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن له مروءة، فقال: استوهبوه من خصمه (١٨٨). إن ذوي المروءة معروفون بالخير، فالواجب إن أخطأوا مرة أو زلوا زلة، أن يغض الطرف

---

(١٨٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب الحدود – باب في الحد يشفع فيه ٢٣٢/٤ ح رقم ٤٣٧٧، وأحمد في مسنده ١٨١/٦ ح رقم ٢٥٩٨٨، والطحاوي في "مشكل الآثار" ١٤٩/٦ ح رقم ٢٣٧٧ من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢/ ٢٣١ ح رقم ٦٣٨.

(١٨٤) السنن الكبرى للبيهقي ٣٣٤/٨.

(١٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء – باب ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ** ﴾ [الكهف: ٩] ١٢٨٢/٣ ح رقم ٣٢٨٨، ومسلم في صحيحه: كتاب الحدود – باب قطع السارق والشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٣١١/٣ ح رقم ١٦٨٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٨٦) الموسوعة الحديثية: موقع الدرر السنية (مرجع سابق)، تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/١١/٢م.

(١٨٧) شرح مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي ١٥٠/٦.

(١٨٨) عين الأدب والسياسة لأبي الحسن بن هذيل، ص ١٣١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

عنهم، وأن يُستروا ما لم يكن حدًّا، وذلك لما لهم من تأثير، فالأولى أن يحفظ ماء وجههم، حتى لا تهتز صورتهم بين الناس، مراعاة لمكانتهم، واستفادة من صفاتهم ومزاياهم.

وبعد: فهذا منهج دعوي متكامل في كيفية التعامل مع ذوي المروءات، واستيعابهم، والعمل على جذبهم إلى الحق والخير، بل وتوظيفهم في ميدان الدعوة، ففي كسبهم والاستفادة منهم خيرٌ – لو يعلم الدعاة – عظيم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

الخاتمة

وفي ختام هذه الجولة حول قيمة المروءة وأثرها في الدعوة، يمكن استنتاج الآتي:

١. تناول العلماء "المروءة" من جوانب مختلفة، فانعكس ذلك على تعريفهم لها، فقد عرَّفها البعض باعتبار حقيقتها المجردة، فجاء تعريفُهم عاما يركز على ماهية المروءة، وعرفها البعض الآخر بحسب مظاهرها، فجاء تعريفهم معبرًا عن آثارها التي تظهر في السلوك، ولذا فقد تعددت تعريفاتها، وتنوعت مدلولاتها بحسب مجالات استخدامها والسياق التي جاءت فيه.

٢. المروءة كغيرها من أخلاق الإسلام وقيمه، منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، ويمكن تحصيلها بالمجاهدة، وإعمال العقل، والتنشئة الصالحة والبيئة الطيبة، وصحبة ذوي المروءات والإكثار من مجالستهم، ومطالعة سِيَر السابقين من أصحاب المروءات.

٣. الدعاة هم أحوج الناس إلى المروءة وأولاهم بها، فلا غنى للداعية عن الحد الأدنى من خصال المروءة (مع نفسه، ومع غيره، ومع ربه سبحانه وتعالى)، فبها يستقيم ظاهره وباطنه، وهي سبيله إلى كسب القلوب، ونيل المصداقية والقبول لدى الناس.

٤. تظهر آثار المروءة وثمراتها الدعوية في: تماسك بيت الداعية ومناصرته للدعوة، وكسب ثقة المدعوين ونيل احترامهم، وتهيئة قلوبهم وعقولهم للاستجابة، وتحييد المعاندين منهم وتجنب عداوتهم والصدام معهم.

٥. يتمثل منهج الدعوة في التعامل مع ذوي المروءات من المدعوين في: إكرامهم وتوقيرهم ورفع شأنهم، والوفاء لهم وحفظ صنيعهم، والاستفادة من طيب معدنهم وكمال عقولهم، وإقالة عثراتهم والعفو عن زلاتهم، وبهذه الخطوات يمكن استيعابهم، وتوظيفهم في ميدان الدعوة إلى اللهﷻ.

ومن خلال هذه النتائج يمكن التوصية بما يلي:

أولا: تفعيل الرقابة على المواد الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة، والتصدي للأعمال الهابطة التي تدعو إلى العنف وتشجع على الإسفاف والرذيلة والميوعة والانحلال، ودعم الأعمال الهادفة التي تنشر الفضيلة، وتعزز قيم المروءة والفتوة والشهامة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، وإبراز نماذج المروءة في واقعنا المعاصر إعلاميًّا ومجتمعيًّا، وتقديم الدعم والتكريم اللائق بهم، حتى يستقر في وجدان الناس أن هؤلاء هم القدوات والنجوم والصفوة الذين ينبغي الاحتفاء بهم.

ثانيًا: استكتاب الباحثين عامة والدعاة على وجوه الخصوص لتناول ظاهرة تراجع المروءة في واقعنا الحالي "الأسباب والعلاج"، وذلك باستخدام أساليب الرصد والتحليل العلمي الذي يقود إلى نتائج سليمة.

ثالثًا: ضرورة العناية بذوي المروءات من الدعاة، فهم صفوة الدعاة وخيرتهم، وتأثيرهم في المدعوين كبير، وواجب المؤسسات الدعوية أن توليهم من العناية والاهتمام، وتقدم لهم من الدعم ما يحتاجون إليه.

رابعًا: من واجب الدعاة أن يبحثوا عن ذوي المروءات من الناس، وإذا وجدوهم أن يتمسكوا بهم، ويحرصوا على استخراج الخير الكامن في نفوسهم.

خامسًا: وأوصي الباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة أن يتأملوا أصناف المدعوين وشرائحهم بمزيد من العمق، وأن يستخرجوا شرائح جديدة من الشرائح المخاطبة بالدعوة، وأن يقفوا على منهج الدعوة في الوصول إليهم والعمل على استيعابهم وتوظيفهم، مستنبطين ذلك من القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية، ومن تجارب الدعاة وخبراتهم قديما وحديثًا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

Magnanimity and its impact on calling to Allah

Dr. Al-Said Shaaban Al-Desouky Ibrahim

Associate Professor of Call and Islamic Culture at the College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, and the College of Fundamentals of Religion and Call in Mansoura, Al-Azhar University

Abstract

For being a human value and an Islamic virtue, the magnanimity “Morowat” stands out at the forefront of the morality edifice, to announce either the nobility or the righteousness of their holder. As it has been found out as an urgent need, especially in the calling field, this research aims subsequently to emphasize the importance of "magnanimity" either in the lives of people in general or in the calling field in particular. It also aims to show the impact of the magnanimity of the preacher and its fruit in the calling activities. Through this study, the researcher will seek to evolve a preaching methodology when dealing with magnanimous persons, to benefit from the best practices of their employment.

The research relied on the analytical approach with its components, as it collects texts related to chivalry, and sheds light on them in a scientific manner based on interpretation and analysis to extract the effects of the preacher's chivalry, and to devise advocacy rules that enlighten preachers in dealing with people with chivalry.

It is necessary for the preacher, as can realize that sought balance between the appearance and interiority of the preacher. Besides, it will be his/her instrument to win hearts and credibility. In conclusion, the researcher settles that the best approach to calling those magnanimous persons could be represented in honoring, revering, and raising their social status, exalting their conduct, benefiting from their high souls, intelligent minds, and providing appropriate support and honoring them, so that it settles in people's minds that these are the role models and the elite who should be celebrated. and treatment”, using scientific monitoring and analysis methods that lead to sound results.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

١. التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، طبعة ١٩٩٧م.

٢. تفسير ابن كثير، دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٣. تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٤. تفسير القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٥. تفسير البغوي، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، مركز هجر للدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٧. مفاتيح الغيب "المسمى تفسير الرازي": فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

ثانيًا: السنة النبوية:

٨. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٩. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ. تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

١٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

١١. صحيح البخاري: بطبعتيه: دار طوق النجاة، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ودار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٢. السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.

١٣. سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٤. السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط الأولى ١٣٤٤هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

١٥. شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٢٩هـ.

١٦. شرح مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٤٩٤م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٧. شعب الإيمان: البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٨. صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٩. صحيح الجامع: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

٢١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين، الشهير بالمتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م. تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا.

٢٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ.

٢٣. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٢٤. مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٢٥. مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، طبعة ١٤٠٩هـ. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.

٢٦. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٧. المعجم الأوسط للطبراني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٢٨. المعجم الصغير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. تحقيق: محمد شكور محمود الحاج.

٢٩. المعجم الكبير للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٣٠. الموطأ: مالك بن أنس، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م. عناية: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثالثًا: السيرة النبوية والتاريخ:

٣١. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: علي محمد البجاوي.

٣٢. البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

٣٣. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٣٤. دلائل النبوة: أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الريان للتراث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. تحقيق: عبد المعطي قلعجي.

٣٥. زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٦. سيرة ابن إسحاق "المسمى كتاب السير والمغازي": محمد بن إسحاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

٣٧. السيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ.

٣٨. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٩. السيرة النبوية لابن هشام: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثانية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي.

٤٠. الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤١٥هـ. تحقيق: عبد الله القاضي.

رابعًا: اللغة والأدب والمعاجم:

٤١. الأمالي في لغة العرب: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٤٢. البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، دار صادر، بيروت، ط الرابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق د. وداد القاضي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

٤٣. بهجة المجالس وأُنس المجالس: ابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: محمد موسى الخولي.

٤٤. التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، دار الفضيلة، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي.

٤٥. ديوان السهروردي، شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش، مطبعة الرفاه، بغداد، طبعة ٢٠٠٥م. شرح وتحقيق: كامل مصطفى الشيبي.

٤٦. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٧. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للمرزوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٨. شعر زياد الأعجم: د. يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٩. الصحاح للجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. تحقيق: أحمد عطار.

٥٠. عين الأدب والسياسة وزين الحب والرياسة: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، بدون تاريخ.

٥١. عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية، القاهرة، طبعة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

٥٢. الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، دار الفكر العرب، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥٣. لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله عليّ الكبير وآخرون.

٥٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥٥. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٦. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥٧. الموشَّى أو الظرف والظرفاء: محمد بن إسحاق أبو الطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثانية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م. تحقيق: كمال مصطفى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

خامسًا: التراجم والطبقات:

٥٨. صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق: محمود فاخوري، و د. محمد رواس قلعه جي.

٥٩. طبقات فقهاء اليمن: عمر الجعدي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: فؤاد سيد.

٦٠. معرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني، دار الوطن للنشر، الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي.

سادسًا: كتب الفقه وأصوله:

٦١. إرشاد الفحول للشوكاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: تحقيق: أحمد عزو.

٦٢. الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض.

٦٣. الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: سعيد محمد اللحام.

٦٤. الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٦٥. خزانة الفقه وعيون المسائل" لأبي الليث السمرقندي، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، طبعة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م. تحقيق: د. صلاح الدين الناهي.

٦٦. روضة الطالبين للإمام النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

٦٧. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى الرحيباني ١٤٣/٢، المكتب الإسلامي، دمشق، طبعة ١٩٦١م.

٦٨. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٩. المنهاج للنووي، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. عناية: محمد محمد طاهر شعبان.

٧٠. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٤)، ص ص ٢١٠٢ – ٢١٦٢ (شعبان١٤٤٤هـ /مارس٢٠٢٣م)

سابعًا: بقية المراجع:

٧١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٧٣. الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام.

٧٤. أدب الدنيا والدين للماوردي، دار اقرأ، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. شرح وتعليق: محمد كريم راجح.

٧٥. الأدب والمروءة: صالح اللخمي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. تحقيق: وتعليق: قسم التحقيق بالدار.

٧٦. البعث الإسلامي "المنهج والشروط": وحيد الدين خان، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ترجمة: محسن عثمان الندوي، ومراجعة: د. عبد الحليم عويس.

٧٧. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المِلك وسياسة الملك: أبو الحسن الماوردي، دار النهضة العربية، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. تحقيق: د. محيي هلال السرحان.

٧٨. الدعوة بين المفهوم والتطبيق: طارق مرزوق، مكتبة النجاح، بني سويف، بدون تاريخ.

٧٩. رسائل الإصلاح: الشيخ محمد الخضر حسين، دار النوادر، سوريا، ط الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. عناية: عليّ الرضا الحسيني.

٨٠. روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة: أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، بدون تاريخ.

٨١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤٣٣هـ. عناية: طارق عبد الواحد علي.

٨٢. عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي: شويش هزاع عليّ المحاميد، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٨٣. فيض الخاطر: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثالثة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٨٤. مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. تحقيق: محمد حامد الفقي.

٨٥. مرآة المروءات: أبو منصور الثعالبي، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. تحقيق: د. محمد خير رمضان يوسف.
٨٦. المروءة: أبو بكر محمد بن خلف المرزُبان، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: د. محمد خير رمضان يوسف.
٨٧. المروءة: سيد عاصم علي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٨٨. المروءة في واقعنا المعاصر: د. صلاح الدين عبد الحليم، دار سلطان للنشر، الولايات المتحدة الأمريكية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٨٩. مكارم الأخلاق للخرائطي، مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تحقيق ودراسة: د. سعاد سليمان الخندقاوي.
٩٠. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا: محمود محمد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ثامنًا: مقالات ومنشورات على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

٩١. حتى لا تضيع المروءة: د. علي بن عمر بادحدح، خطبة منشورة على المنتدى الإسلامي بتاريخ ٢٠١٠/٧/٣٠م. رابط النشر: https://friends٤hlse.yoo٧.com/t٥٧٣-topic
٩٢. موسوعة الأخلاق: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف علوي بن عبد القادر السقاف. رابط الموقع: www.dorar.net